الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات
قسم: اللغة العربية وآدابها

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

تخصص: دراسات نقدية

البعد النفسي في بناء الشخصية الروائية
رواية "طوق الياسمين" لـــ واسيني الأعرج
-أنموذجا-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:
- أنيسة جوابي
- نصيرة محديد

إشراف الدكتور:
- قادة يعقوب

لجنة المناقشة

أ: سعدوني يحي.....رئيسا
د: قادة يعقوب.....مشرفا ومقررا
أ: دحماني لمياء.....عضوا ممتحنا

السنة الجامعية 2015/2014

دعاء

اللهم أكرمنا بنور الفهم، وأخرجنا من ظلمات الوهم .

وأفتح لنا أبواب رحمتك، وأنشر لنا من خزائن علمك.

اللهم لا تدعنا نصاب بالغرور إذا نجحنا، ولا باليأس إذا أخفقنا.

اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علماً.

اللهم آمين...

شكر و تقدير

الشكر والحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لولا فضل الله علينا، في البداية نتوجه بكثير الشكر وجزيل الامتنان إلى أستاذنا الكريم ومشرفنا "قادة يعقوب" على قبوله الإشراف على هذا العمل أولاً، وعلى جميع النصائح والإرشادات العلمية التي قدمها لنا بصبر واسع.

كما لا ننسى الأستاذ "ولد يوسف مصطفى" على المساعدة القيّمة التي قدمها لنا طوال إنجازنا لهذا البحث، وكذلك الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة على ما تكبدوا من عناء قراءة وتصحيح هذه المذكرة.

إهداء

إلى من قال فيهما الرحمان "وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيراً"

إلى من جعل الجنة تحت قدميها

إلى من جعلها الله صديقة وحبيبة إلى من غمرتني بالحب والحنان وسقتني بالدفء والأمان

إلى قُرة عيني ونور قلبي "**أمي الغالية نصيرة** "

إلى مصدر كبريائي واعتزازي وفخري

إلى من يعطي ويكافح من القلب في سبيل تعليمي

" أبي الحنون محفوظ"

حفظهما الله وأطال في عمرهما

إلى جدتاي إلى كل أفراد عائلتي كبيراً أو صغيراً

إلى من أدين لهم بالود والألفة إلى الشموع التي تنير بيتنا إخوتي: إلياس لطفي

فاروق و الكتكوتة **"ياسمين"**

إلى أصدق الصديقات وزميلتي في هذا العمل "نصيرة"

إلى رفيقات دربي وحبيبات قلبي اللواتي شهدت معهن أحلى الأيام

عبلة ، جميلة، شيخة، نصيرة

ليلى، نادية، مريم، جميدة، فاطمة، عبلة، سميرة، فاطمة

رقية ، دليلة ، فضيلة،رزيقة، صبرينة

إلى من سقط من ذاكرتي سهواً أقول لهم عفواً

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة.

أنيسة

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أعز ما أملك في الوجود إلى الوالدين الكريمين

إلى التي ينحني الشعور بذكر اسمها ويخفق القلب برؤيتها

إلى التي مهما عبرت وتفننت لن توفي الكلمات والصفحات حقها

إلى من ربت وتعبت وسهرت من أجل مواصلة تعليمي وأحاطتني بكل الحب والحنان

لتراني أصل إلى هذا الموصل "**أمي الغالية زينب**"

إلى من كان قوتي في الحياة ولم يبخل يوما بشيء ومستعد لمساعدتي

للوصول إلى أعلى الدرجات "**أبي الغالي لخضر**"

إلى إخوتي الأعزاء : بشير، سعيد، محمد، وزوجاتهم و جمال،أحمد،صالح وإلى أخواتي: زوليخة، مليكة محجوبة أم السعد، حورية ، فاطمة

وأخص بالذكر أختي الحبيبة والغالية صليحة التي ساندتني ووقفت معي في وقت الضيق فالحياة بدونها لا تساوي شيئاً

إلى بنات وأولاد إخوتي وأخواتي:إيمان، فاطمة ، سامية، حورية، جميلة، فايزة، سمير، إبراهيم

إلى براعم البيت وزينة الحياة الدنيا: ريتاج ،أكرم، ملك،أسامة،شيماء،رمزي،ميرة

إلى سندي الذي سيواصل معي مشوار حياتي خطيبي وعائلته الكريمة

إلى نعم الصديقة والغالية التي رافقتني في مشواري الدراسي عزيزتي أنيسة

إلى من قضيت معهن أحلى الأوقات صديقاتي العزيزات : عبلة،جميلة،شيخة،جهيدة،فاطمة،نادية،ليلى

مريم، فاطمة، سميرة،دليلة، صبرينة، فاطمة ، كريمة

إلى كل من لم تسعهم صفحتي، وسعهم قلبي

نصيرة

مقدمـــــــــة

مقدمـــــــــــة:

قدّم التّحليل النّفسي للأدب والفن خدمات جليلةً ومفاتيحَ لتحليل شخصيات الأُدباء والفنّانين فهناك علاقة وطيدة بين الأدب وعلم النّفس، ذلك أن علم النفس من أقرب العلوم إلى الإبداع الأدبي، الأمر الذي يصير الفصل بين المجالين صعباً على اعتبار أن التحليل النفسي للأدب يكشف عن لاّوعي الأديب من خلال المكنون النفسي المبثوث في الإبداع الأدبي وكلاهما يستفيد من الآخر، بداية من لحظة الإبداع .

وللأدب أجناس كثيرة كالمسرح والقصة والرواية والشعر وغيرها وكان اهتمامنا منصباً على الرواية لأنها أسهمت بنصوصها في صوغ الهوايات الثقافية للأمم في عصرنا الحاضر، ودفعنا حب الإطلاع الذي ترك فينا آثاراً عميقة مثلت أهم دافع لاختيار هذا الموضوع حيث كان إهتمامنا يرتكز بشكل كبير على الروايات الجزائرية، كروايات "الطاهر وطار" و"عبد الحميد بن هدوقة" و"أحلام مستغانمي" و"واسيني الأعرج" والذي اخترنا إحدى رواياته لتكون أُنموذجاً لبحثنا وهي رواية "طوق الياسمين" التي تملك العديد من المواصفات الجيدة كالأسلوب المتميز، مما جعلها محط إعجاب ليس من قبل القراء فحسب بل أعجبت الكثير من النقاد والشعراء والأدباء وأشادوا لها بالنّجاح و التوفيق، استطاع من خلالها الروائي "واسيني الأعرج" أن يحتل مكانة مرموقة في فضاء الأدب خاصة كونها سيرة ذاتية اكتشفنا من خلالها حياة واقعية عاشها الراوي، وهذا ما دفعنا للتساؤل: كيف درست الشخصية نفسياً ؟ وكيف ارتسمت معالم البعد النفسي في شخصيات الرواية؟ وإلى أي مدى أسهم هذا البعد في بناء الرواية؟.

لقد درسنا رواية "طوق الياسمين" والمأخوذ اسمها من اسم باب موجود في دمشق، استعاره الراوي ليدخله في بناء روايته، وهو باب من الأبواب التي كتب فيه عيد عشاب مذكراته، وفي شخصياتها

وجدنا من الأبعاد النفسية الشيء الكثير، فالشخصية لها دور فعال في تحريك العمل الفني وتعتبر من العناصر المهمة التي ينبني عليها نجاح الرواية.

للإجابة على كل هذه التساؤلات اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج النّفسي الذي يكشف عن خبايا النفس البشرية، لأننا بصدد تحليل الشخصيات للوصول إلى أهم السمات والخلفيات النفسية التي تزخر بها.

وقسمنا بحثنا هذا إلى مدخل وفصلين، ففي المدخل تحدثنا عن نشأة الرواية الجزائرية ونبذة عن حياة الروائي "واسيني الأعرج".

وقد تناولنا في الفصل الأول الجانب النّظري الذي جاء بعنوان: مفاهيم نفسية حول الشخصية والشخصية الروائية، وكانت مباحثه تركز أولاً على الشخصية في ضوء التحليل النفسي، والثاني الشخصية الروائية من منظور النقد النفسي، أما الفصل الثاني الذي يعتبر فصلاً تطبيقياً أدرجناه تحت عنوان: تجليات البعد النفسي في شخصيات الرواية، وقسمناه إلى ثلاث مباحث، المبحث الأول فيه ملخص الرواية، أما المبحث الثاني يسبقه تمهيد أدرجنا فيه التعريف بالشخصيات وأبعادها النفسية، وفي المبحث الثالث تطرقنا إلى العلاقات النفسية بين الشخصيات وإسهامها في بناء الرواية وفي ختام بحثنا توصلنا إلى أهم النتائج .

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مصدر أساسي وهو رواية "طوق الياسمين" لـــ"واسيني الأعرج" بالإضافة إلى بعض المراجع في علم النفس أهمها: كتاب "التحليل النفسي والإتجاهات الفرويدية" لـــــ"فيصل عباس"، وكتاب "أساسيات في علم النفس العام" لـــ"ـطارق كمال" و"المختصر في الشخصية والإرشاد النفسي" لـــــ"نبيل صالح سفيان" فقد كان لها دور كبير في تحديد بعض المفاهيم والمصطلحات النفسية من أجل تسهيل عملية التحليل .

وخلال قيامنا بهذا البحث واجهتنا بعض الصعوبات منها نقص بعض المراجع التي اهتمت بالبعد النفسي، كذلك ضيق الوقت، لكن هذه الصعوبات لم تقف حاجزاً أمام مواصلتنا لإنجاز هذا البحث .

وختاماً نتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذنا الفاضل " قادة يعقوب " الذي كان لنا نعم السند ونعم المرشد ولم يبخل علينا بنصائحه.

مدخـــــل

مدخل: نبذة عن نشأة الرواية الجزائرية وحياة الروائي.

لقد لقيت الرواية اهتماماً وإقبالاً خاصاً من قبل الأدباء والقراء على حد السواء، فعمل النقاد على ترقيتها وتطويرها وتحديد عناصرها الفنية.

تختلف الرواية عن الأنواع الأدبية الأخرى – كالقصة القصيرة والشعر والمقال القصصي – فهذه الأنواع تستخدم مادة أولية بكراً، يُعبر بها عن فكر الكاتب أو الشاعر، أما الرواية فمادتها ثانوية فهي كما يقول" باختين" متعددة الأصوات وخطابها عبارة عن مزيج من الخطابات الشعرية والقصصية والتصويرية وغيرها[1].

وما يهمنا في هذا المقام هو الحديث عن الرواية الجزائرية، «التي كان لها الفضل الأكبر في توضيح العلاقة القوية بين الفنان وواقعه من جهة، وبينهما وبين الظواهر الفكرية المستجدة من جهة أخرى، وذلك لكون الفن الروائي يتوفر على مساحة حديثة أوسع، وعلى فترة زمنية أطول، ويحتوي على أكبر عدد من نماذج بشرية وهي تتفاعل مع بعضها، كما كان للرواية الفضل في إغناء خريطتنا الأدبية بنماذج روائية كانت في أغلب الأوقات نسخة طبق الأصل للإنسان العربي في الجزائر الذي عانى ويلات الإستعمار وجبروته...»[2].

ولقد تأخرت الرواية الجزائرية في الظهور عن الرواية العربية وبخاصة في المغرب العربي فمنذ أن وطأت أقدام الاستعمار أرض الجزائر وشعبها يعيش في ظروف غير طبيعية، حاولت فيها فرنسا طمس الهوية الجزائري وفرنسة الشعب الجزائري وفرضت ثقافتها وأدبها ولغتها عليه، مما أدى إلى ظهور طائفة من الكتاب الجزائريين يكتبون باللغة الفرنسية .

[1]– ينظر: عبد الرحمان الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الأدب، القاهرة، ط3، 2005، ص105.

[2]– ينظر: بشير بويحرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 199.

والجدل الذي وقع هنا هو تصنيف الأدب الجزائري من حيث الانتماء، فهناك من يرى أنه يصنف في الأدب الفرنسي، لأن جزءاً هاماً منه اتخذ اللغة الفرنسية وسيلة للتعبير، وهناك من صنفه ضمن الأدب الجزائري وهذا كون من كتبه من أصل جزائري ، وقد طرح هذه القضية "محمد طمار " في قوله :« إن الأديب لا يفكر تفكيراً يتصل بالمشكلات الواقعية والاجتماعية إلا إذا كانت في إطار قومي ولا يؤدي أفكاره وأحاسيسه تأدية خالصة صادقة كل الصدق إلا باللغة القومية »[1].

حيث جعل اللغة القومية الأساس الفاصل في انتماء الأدب، معنى ذلك أن الأدب الجزائري موضوعاً والفرنسي لغةً لا يمكن أن ينتمي إلى الأدب القومي.

أما "مراد بربون فيقول :« اللغة الفرنسية ليست ملكا خاصا بالفرنسيين وليس سبيلها سبيل الملكية الخاصة بل إن أية لغة إنما تكون ملكا لمن يسطر عليها ويطوعها للخلق الأدبي ويعبر عن حقيقة ذاته القومية »[2].

يرى "مراد بربون" أن اللغة الفرنسية ليست حكراً على الفرنسيين، وليست مرتبطة بالمجتمع الفرنسي وإنما هي ملك للمبدع الذي يستطيع التحكم فيها والتعبير بها.

ولعل الذي دفع بالدارس أن يتجه هذا الاتجاه ظروف الإستعمار التي تعرض لها الشعب الجزائري حيث أفقدته لغته ولقد اتخذ الأدباء الجزائريون من اللّغة الفرنسية أداة للتعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم وهذا لا يحط من جزائريتهم ولا يخرجهم من الإطار الوطني أو القومي، حيث يقول:"محمد ديب" (1920م-2003م) :«ولأسباب عديدة فإنّي ككاتب كان همي الأول أن أضم صوتي إلى صوت المجموع منذ أول قصة كتبتها »[3].

1- محمد طمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص282.
2- المرجع نفسه، ص282.
3- سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1967، ص85.

إن ما يمكن قوله في هذا المجال هو أن ظروف الإستعمار الفرنسي كانت سبباً في كتابتهم باللّغة الفرنسية لأنه:« ظهر كتاب وطنيون يؤمنون بحق الشعب ويعيشون واقعهم ويحسون بمشاكل التي كان يعانيها من جراء الإستعمار فلم يجدوا وسيلة للتعبير عن هذا الواقع الاجتماعي سوى اللّغة الفرنسية التي تعلموها »[1].

ومن خلال هذا القول يمكن أن نستنتج أن الكتاب أجبروا على الكتابة باللّغة الفرنسية ولم يمتلكوا لغة أخرى للتعبير عن وجع الشعب الجزائري وألمه، وهذا لن يؤثر على مسار الرواية الجزائرية ولن ينتزع منها جزائريتها مادام الفنان منسجماً مع نفسه صادقاً في تعبيره عن واقع بلاده الإجتماعي في تصوير كان الغرض منه نقد الواقع وهكذا فإن الكتاب الجزائريين لم يقدموا أدباً له طابع المستعمر رغم استخدامهم لغته فبرهن الأديب الجزائري من خلال هذا التحول على أنه قادر على إبراز كفاءته ومن جهة شقت الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية طريقها قبل الإستقلال لكن في شكل غير ناضج، ولكن في الوقت نفسه له أثر في تطور الفن القصصي في الجزائر.

«ويُرجع بعض الدارسين نشأة الرواية الجزائرية إلى محاولات جادة قبل الإستقلال قام بها "أحمد رضا حوحو" في (غادة أم القرى) و"عبد المجيد الشافعي" في(الطالب المنكوب)، ولكن كل من الروايتين لم تحظ بالفوز بلقب الرواية وذلك من الناحية الفنية والأسلوبية ومع بداية السبعينات وبالضبط في سنة 1970 ظهرت النشأة الجادة لرواية فنية ناضجة ارتبطت برواية (ريح الجنوب) "لعبد الحميد بن هدوقة" في فترة كان الحديث السياسي جاري بشكل جدي على الثورة الزراعية فأنجزها في 05 نوفمبر 1970 تزكية للخطاب السياسي الذي يلوح بآمال واسعة للخروج بالريف عن عزلته»[2].

1- عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس،ط3 ،1977 ،ص 17.

2- ينظر: عمر بن قينة، في الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية المركزية، الجزائر، 1959، ص 198.

ويعد "واسيني الأعرج" من أهم الروائيين الذين استطاعوا أن يفرضوا مكانتهم في فضاء الأدب فقد حاز مُعظم الألقاب المشجعة بفضل رواياته التي عالجت الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والنفسية للمجتمع الجزائري ومن بين هذه الروايات رواية (طوق الياسمين).

ولد"واسيني الأعرج" سنة 1954م بقرية "سيدي بوجنات" بولاية "تلمسان" نال تعليماً باللغة الفرنسية حتى نهاية الستينات، وبفعل توجيه الأساتذة العرب الذين كانوا بالجزائر تولد لديه حب عميق للعربية مما دفعه إلى الكتابة باللغة العربية في المرحلة الجامعية، حيث ظهرت له إسهامات أدبية بصورة قصص نشرها في مجلة "أمال" منها "جغرافية الأجساد المحروقة" سنة 1979م، وبعد حصوله على شهادة الليسانس من جامعة وهران خُيّر بين الذهاب إلى فرنسا أو إلى دولة عربية فاختار أن يتوجه إلى سوريا حيث كانت بدايته الفعلية في سوريا وعن ذكراه في سوريا يقول :«عشت في دمشق حوالي عشر سنوات ولي أسرة هناك وأجمل أيام عمري في العشرين والثلاثين عشتها في دمشق وهذا ترك لدي أثر كبير وعميق بدأت النشر في سوريا قبل السفر إلى الجزائر حيث نشرت الكثير من الأعمال »[1] .

نجد أعماله الإبداعية : "البوابة الزرقاء وقائع من أوجاع رجل غامر صوب البحر" كتبها في دمشق والجزائر سنة 1980م، ورواية "وقع الأحذية الخشنة" كتبها في بيروت سنة1981م ورواية "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش" في دمشق 1982م، ورواية "نوار اللوز" في بيروت عام 1983م، بالإضافة إلى رواية "مصرع أحلام مريم الوديعة" في بيروت سنة 1984م، ورواية "ضمير الغائب"

1- بوصبع رابح، مقاربة سميائية للعتبات النصية لرواية واسيني الأعرج، جامعة تليجي بالأغواط، 2007،2008، ص115.

كتبها في دمشق عام 1990م، كما نجد له روايات عدة نذكر من بينها الرواية التي اخترناها وهي رواية "**طوق الياسمين**" رسائل في الشوق والصبابة والحنين كتبها في بيروت عام 2004م[1].

و**أعمال نقدية** سايرت أعماله الإبداعية، لعل من أهمها: كتابه "اتجاهات الرواية العربية في الجزائر" وكتابه "بحث في الأصول التاريخية والجمالية" أصدره عام 1986م، وكتابه "الطاهر وطار تجربة الكتابة الواقعية "–الرواية نموذجاً أصدره سنة1989م.

لقد حاز الكاتب الناقد **جوائز كثيرة منها:** "جائزة عبد الحميد هدوقة للرواية الجزائرية" سنة 2001م و"جائزة المكتبيين" سنة 2006م عن روايته "الأمير" وجائزة "الشيخ زايد" للكتاب وهي أكبر جائزة تمنح للمبدعين العرب على إنتاجاتهم الإبداعية تحصل عليها المؤلف محدثا تميزاً وتفوقاً على الساحة العربية[2].

1– محمد ساري، محنة الكتابة(دراسة نقدية)، منشورات البرزخ، دار القلم، بيروت، 2007، ص44.

2– محمد ساري، المرجع السابق، ص45.

الفصل الأول

الفصل الأول

مفاهيم نفسية حول الشخصية والشخصية الروائية.

المبحث الأول: الشخصية في ضوء التحليل النفسي.

المبحث الثاني : الشخصية الروائية من منظور النقد النفسي.

المبحث الأول : الشخصية في ضوء التحليل النفسي

قبل أن نشرع في الحديث عن الشخصية عند علماء النفس، لابد أن نبحث عن أصل الكلمة في أمهات المعاجم :

فقد عرف **الزمخشري**"**(467ه-538ه)** في **أساس البلاغة** الكلمة

بقوله :«شَخْصَ:رأيت أَشْخَاصاً وشُخُوصاً، امرأة شَخِصَة كقولك جسيمة ، وشَخَصَ من مكانه وأَشْخَصَتُهُ ومن المجاز شَخّصَ الشيء إذ عينه وشَخُصَ بصر الميت شَخَصَ إليك بصري والأبصار نحوك شَاخِصَة وأَشْخَصَ فلان بفلان»[1].

أما "**ابن منظور(630ه-711ه) في لسان العرب** عرف كلمة "**شخص**"

بقوله:« شَخص، الشَّخْصَ: جماعة شَخْصَ الإنسان وغيره، مذكر أَشْخَاصْ وشُخُوصٌ وشِخَاصْ: سواء الإنسان وغيره تراه من بعيد، تقول ثلاثة أَشْخُصْ و كل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شَخْصَهُ»[2].

من خلال التعريفين نلحظ أنه لا وجود للاختلاف فكلاهما ربط الكلمة بالمظهر الخارجي أي الجسم ونلمس ارتباط كلمة "شخص" بالجانب المادي المحسوس ولا ننتقل إلى المعنوي إلاّ عن طريق المجاز.

كذلك الشخصية(personnalité) : كلمة لاتينية ومعناها القناع أو الوجه المستعار الذي يضعه الممثل على وجهه من أجل التنكر وعدم معرفته من قبل الآخرين ولكي يؤدي دوره المطلوب في المسرحية، وهي تعني الشخص كما يظهر بالنسبة

1- أبي قاسم الزمخشري، أساس البلاغة، ت:محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان ،ج1 باب الشين، ص497،498 .

2- ابن منظور، لسان العرب، ت: عبد الله علي الكبير وهاشم محمد الشاذلي، دار لسان العرب، بيروت، مج 4 (من الشين إلى العين)، ص2211.

للآخرين وليس كما يظهر في الحقيقة [1].

ومن هذا يمكن أن نستنتج أن الشخصية عندما تنتقل إلى الفن تأخذ صفات وجوده من الواقع رغم أنها ناتجة عن الخيال.

يقول محمد يوسف نجم : « تعتبر الشخصية الإنسانية مصدر إمتاع وتشويق في القصة لعوامل كثيرة، ومنها أن هناك ميلاً طبيعياً عند كل إنسان، إلى التحليل النفسي ودراسة الشخصية فكل منا يميل إلى أن يعرف شيئاً عن عمل العقل الإنساني، كما إن بنا رغبة جموحاً تدعونا إلى دراسة الأخلاق الإنسانية، والعوامل التي تؤثر فيها ومظاهر هدا التأثر»[2] .

تقوم نظريات علم النفس الحديث بتحليل مفهوم الشخصية، وهو ما وجد لتوضيح الواقع النفسي للفرد.

ذلك أن فهم الإنسان علاج مشكلاته يشكل اتجاهاً في علم النفس، هو اتجاه دراسة الشخصية ولما كان الإنسان غير مدرك للكثير من دوافعه ورغباته اللاشعورية ويفشل في تذكر خبراته أو في التعبير عنها بصورة مباشرة، نتيجة دفاعاته ومقاوماته اللاشعورية كان من الضروري أن تتطلب دراسة الشخصية أساليب متعددة لسبر أغوارها والكشف عن خصائصها .

إنّ مفهوم الشخصية هو بناء علمي أُعدّ لتوضيح الواقع النفسي للفرد، وما هدف نظريات علم النفس الحديثة إلا تحليل هذا المفهوم، وتحديد مناهج دراسة الشخصية[3].

1- ينظر: سعد رياض، الشخصية –أنواعها وأمراضها وفن التعامل معها–، مؤسسة إقرأ، القاهرة، ط1، 2005 ص11.

2- محمد يوسف نجم، فن القصة، دار صادر بيروت، ط1، 1996، ص 42.

3- ينظر: فيصل عباس، الشخصية–دراسة حالات المناهج التقنيات– الإجراءات–، دار الفكر العربي، بيروت، ص05.

لذا تعد الشخصية عالماً نفسياً داخلياً يتكون دينامياً حسب تاريخية الفرد بممارسة بعض الوظائف والآليات الأساسية بالنسبة له[1].

ومفهوم الشخصية يعتبر أكثر المفاهيم تعقيداً عند علماء النّفس، فهو يشتمل على جميع الصفات والخصائص الجسمية والعقلية والوجدانية، وكلها صفات تتفاعل مع بعض في شخص معين وفي بيئة اجتماعية معينة، وقد اختلفت وجهات نظر علماء النفس وتنوعت تفسيراتهم وتباينت طرق دراستهم لشخصية الإنسان، ومن بين أهم النفسانيين الذين اهتموا بدراسة وتحليل الشخصية نفسيا نجد المحلل النفساني "**فرويد**" :

1-1 الشخصية عند فرويد FREUD(1856-1939):

لقد قسم فرويد الشخصية إلى ثلاثة أنظمة هي : «الهو» la ça، « الأنا» le moi «الأنا الأعلى » le sur moi وهذه الأنظمة منفصلة ومتصلة تعمل في تناغم مع بعضها البعض، وهي في انسجامها تكون السلوك السوي.

1-1-1 الهو:

"وهو الصورة الأولى للجهاز النفسي التي يتمايز منها الجهازان الآخران إذ تمثل ما نولد به من مكونات نفسية وراثية، وخبرات الهو ذاتية داخلية يطلق عليها فرويد الواقع النفسي الحقيقي للشخصية ، وهي مخزن الغرائز فإذا استثيرت وتهيجت حدث توتر، فإن الهو يعمل على خفض هذا التوتر ليعود إلى توازنه فيتجنب الألم، ويحقق اللذة بعمليتين فطريتين : **الأولى** الأعمال المنعكسة وهي أفعال نقوم بها تلقائيا لإزالة التوتر، **والثانية** هي العمليات الأولية وهي بدائية بسيطة تحدث طبيعيا باستحضار الذهن للصور، كالذي يحدث في ظاهرة الحلم"[2].

1- ينظر: فيصل عباس، المرجع نفسه، ص06.

2- فيصل عباس، التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 1997، ص33.

إنّ الهو جهاز انعكاس يساعد على التفريغ الفوري للشحنة عن طريق تحرك استجابة لمثيرات جسمية، قد تكون من داخل الجسم أو من العالم الخارجي والهو لا يستطيع التحول والتغير بمرور الزمن لأنّه لا يتمكن من الاتصال بالعالم الخارجي وتُضبط بواسطة الأنا، والهو لا يخضع لقوانين سببية أو منطقية ويهدف إلى الحصول على الإشباع الغريزي[1].

عليه يمثل الهو الأساس الغريزي، وهو فطري سيكولوجي وموجود منذ الولادة عند الطفل حيث يعمل على تحقيق الرغبات دون الإهتمام بالقيم والعادات والتقاليد والأعراف.

وتؤدي الأعمال المنعكسة بدورها إلى إمكانية تحقيق التوتر عند الفرد مباشرة، أما العمليات الأولية فتتمثل في عملية تفريغ التوتر عن طريق تكوين صورة لموضوع ما يؤدي من خلاله إلى إزالة التوتر.

1-1-2 الأنا (EGO):

"الأنا جزء من الهو يتخارج عنه ويعيش بطاقته، ويعمل على إبقائه مطموراً تحت سطح السلوك وإذا اعتبر فرويد الهو منطقياً منظماً وعملياته ثانوية، يسيطر عليه مبدأ الواقع[2]، لأنَّه عماد الجهاز النّفسي الذي يوفق بين الهو والأنا الأعلى المتعارض غالبا هو الذات الوسط التي تتحرك وفق المنطق والتعقل"[3]، "إن الأنا هو القسم التنفيذي من الشخصية، ويتضمن نشاطه الإدراك والتفكير الواعي والذاكرة التعلم والاختيار والمفاضلة والحكم والفعل كما أن عليه اكتشاف المحفزات اللاشعورية الخطرة لكي يعرقلها بسحب مدده في ذلك من الطاقة النفسية"[4].

ومن ثمة يُعتبر الأنا مركز الشعور والإدراك الحسي ويتطابق مع مبدأ الواقع ويقوم بدور

1- فيصل عباس، المرجع نفسه، ص33،34.

2- المرجع نفسه، ص نفسها .

3- طارق كمال، أساسيات في علم النفس العام، مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية ،2006 ،ص141 .

4- جبر الدس بلوم، الديناميات النفسية علم القوى النفسية اللاشعورية، تر: رزق سند براهيم ليلة، دار النهضة العربية، بيروت، 1990،ص 37 .

الدفاع عن الشخصية وتوافقها كما أنه يعمل على تحقيق التوازن والتوافق الاجتماعي للشخص مع بيئته .

1-1-3 الأنا الأعلى(SUPEREGO) :

"يتكون من مجموعة المثل الاجتماعية والأخلاقية، يحكمه مبدأ الواجب ويُسمى بالأنا المثالي ينشأ إشتقاقاً من الأنا، له مظهران مظهر عقابي يمكن تلخيصه في:الضمير القاسي – ضروب الكف ومشاعر الندم، ومظهر آخر موجب، ويندرج تحت إطاره وضع الأهداف، والطموحات، وله سلوكان هما الاتحاد مع الأنا ضد الهو ويزيد في هذه الحالة تقدير الشخص لذاته" [1]

فيُعتبر الأنا الأعلى مستودع المثاليات والأخلاقيات وتنظم منافذ العمل والضمير ويمثل ما هو مثالي وليس ما هو داخلي أنه بمثابة الدرع الأخلاقي للشخصية، كما أنه يعمل على كبح اندفاعات الهو.

ومن هنا نرى أن "فرويد" أعطى قيمة للدور الفعّال الذي يلعبه في اتزان الشخصية، وذلك لموقعه الإستراتيجي المهم في الجهاز النفسي حيث يعتبر الموقف بين القوى المتضاربة والمتمثلة في"الهو" وهو خزان الطاقة والأنا الأعلى، الممثل للسلطة والأخلاق، حيث إنه إذا وفق الأنا في خفض التوتر بين هاتين القوتين فإنه يؤدي إلى ظهور بوادر الشخصية المتزنة، أمّا إذا فشل فإنّه يُحدث اضطراب على مستوى الشخصية بشتى أشكالها، ومن الجدير بالذكر أنه بالإضافة إلى "فرويد" نجد هناك الكثير من علماء النّفس الذين أوردوا تعريفات للشخصية نظراً للتعقيد الذي يحيط بدراستها، نذكر ثلاثة تعريفات للشخصية:

1- جبر الدس بلوم، المرجع نفسه، ص38، 39.

1-2 الشخصية عند جوردن البورت (ALLPORT 1937) :

«الشخصية هي التنظيم الدينامي داخل الفرد، لتلك الأجهزة النّفسية والجسمّية الذي يتحدد طابعه الخاص في توافقه لبيئته»[1] .

نفهم من هذا أن الشخصية تجمع بين ماهو نفسي من مكبوتات وغرائز وميولات، وماهو جسمي من ملامح وتصرفات، وتنظمه داخل الفرد.

ويقصد بالاستعدادات النفسية والجسمية، العادات والإتجاهات العامة والخاصة وكذلك العواطف بمعنى أن الشخصية نتاج العقل والجسد في وحدة متكاملة[2].

لقد ربط "ألبرت"الشخصية بالجهازين النفسي والجسمي، وجعلهما أساساً لبناء شخصية الفرد وتنظيمها، ويستنتج من التعريف السابق أهمية البيئة وتوافق صفات الفرد معها.

1-3- الشخصية عند ايزنك (EYSEMCK 1960) :

أما "إيزنك" فقد عرف الشخصية بقوله:« الشخصية هي ذلك التنظيم الثابت والدائم إلى حد ما لطباع الفرد ومزاجه وعقله وبنية جسمه والذي يحدد توافقه الفريد في بيئته»[3].

وعليه يمكن أن نستنتج من التعريفين السابقين، تعريف "ألبرت" وتعريف "إيزنك"أنهما يتفقان في مصدر الشخصية فهي نتاج العقل والجسم وطباع الفرد ومزاجه وعقله، والتي تتحدد بتوافقها مع البيئة .

1- أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية، مصر،ط1 ،1987 ، ص39 .

2- نبيل صالح سفيان، المختصر في الشخصية والإرشاد النفسي، إيتراك للنشر والتوزيع، مصر، ط1 ،2004، ص20.

3- أحمد محمد عبد الخالق، المرجع السابق، ص40.

1-4- الشخصية عند مورتن برنس (MORTN PRINE 1934):

وعرّفها "مورتن" بأنها:«الكمية الكلية من الاستعدادات والميول والغرائز والدوافع والقوى البيولوجية الفطرية الموروثة، وكذالك الصفات والإستعدادات و الميول المكتسبة من الخبرة»[1].

ربط "مورتن" الشخصية بما هو فطري، يتوفر منذ ولادة الإنسان كالغرائز والميولات، وما هو مكتسب موجود بالخبرة والممارسة والتدرج .

نستنتج من هذا كله أن الشخصية عند علماء النّفس هي ببساطة مجموع الصفات الجسمية والعقلية والاجتماعية، الفطرية والمكتسبة التي تميز الشخص عن غيره.

1- نبيل صالح سفيان، المرجع السابق، ص18

المبحث الثاني: الشخصية الروائية من منظور النقد النفسي

تمثل الشخصية مكوناً مهماً من المكونات الفنّية للرواية، وهي عنصر فاعل في تطور الحكي إذ يؤدي عنصر الشخصية أدواراً عدّة في بنائها وتكاملها وطريقة عرضها للأحداث فالكثير من أفكار الروائي ومقاصده ورؤاه، ومواقفه من القضايا المختلفة تصورها الشخصيات، فهي المسؤولة بدرجة أكبر من بقية المكونات الأخرى عن طريق عرض الأفكار والتحكم بخط سير الأحداث أو مواجهتها.

لقد عدَّ النقاد الشخصية:عموداً فقرياً إذ هي أساس بنائها، فلا رواية بدون شخصية «لأن الشخصية تصطنع اللغة وتثبت الحوار وتلامس الخلجات، وتقوم بالأحداث ونموها وتصف ما نشاهد» [1].

وتعد الشخصية الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الرواية فهي التي تعبر وتوصل الرسالة إلى المتلقي وهذه المكانة التي إحتلتها الشخصية جعلت بعض النقاد ينظرون إلى الرواية على أنها تصور تجربة إنسانية تعكس موقف كاتبها إزاء واقعها، والرواية تقول هذا أكثر من خلال أداة فنية مميزة هي الشخصية .

بالرغم من إهتمام النفسانيين بالشخصية إلاّ أنهم لم يهملوا الشخصية الروائية التي تعدّ وهمية ناتجة عن الخيال، وإهتموا بهذا الجانب المهم، فقد درسوا عدة شخصيات روائية من منظور نفسي ونجد من أهمهم :

1-1 الشخصية الروائية عند فرويد (FREUD 1856-1939) :

لقد كتب "فرويد" ثلاث دراسات تطبيقية طويلة تعتبر نموذج للتحليل النّفسي للأدب، **الأولى** بعنوان "هذيان وأحلام في قصة غراديفا" سنة 1906م، **والثانية** بعنوان "ذكرى من طفولة

1- حسين فهد، المكان في الرواية البحرينية«دراسة نقدية»، فراديس للنشر والتوزيع، بيروت ،2003، ص45.

"ليوناردو دافنشي" سنة 1910م، **والثالثة** بعنوان "دوستويفسكي وجريمة قتل الأب " سنة 1928م، والذي يهمنا هنا "الدراسة الثالثة" لأن "فرويد" درس فيها شخصية روائية .

وهي دراسة لا تختلف كثيراً عن الدراسات السابقة، وقد حاول "فرويد" من خلالها اكتشاف شخصيته وتفسيرها، وتعد رواية "الإخوة كرامزوف " أعظم رواية، وقد ظهرت فيها شخصية انطلاقاً من علاقاتها بشخصياته الروائية .

وجد "فرويد" في هذه الشخصية الروائية كل المتناقضات، فهي تحمل في تصوره الفنان المبدع الخالق الجدير بالخلود، وتحمل في الوقت نفسه الأخلاقي والعصابي الآثم المجرم المتعاطف مع المجرمين، والمهووس بالمغامرة المولع بتعذيب نفسه وتعذيب الآخرين، وهذا كله مجسد في روايته المذكورة، لأن "فرويد" رأى أنها تعتبر الصورة الحقيقية لحياة هذا الروائي الشخصية وانفعالاته اللاَّشعورية[1].

توصل "فرويد" إلى شخصية "دوستويفسكي" من خلال بعض الدلائل التي لاحظها عليه كالأنانية المفرطة، والميل القوي للتدمير، وهذه الصفات تقتضي أن يفتقد "دوستويفسكي" الحب والعاطفة إلاّ أنّه يظهر عكس ذلك، فبدا في أعماله شديد الحاجة إلى الحب، وأنه عطوف حتى في المواقف التي يمكن أن يكون فيها مجرماً .

1-2- الشخصية عند جورج طرابيشي(1939م):

درس "طرابيشي" بعض الشخصيات الروائية نفسياً، ومن بين هذه الشخصيات الروائية نجد شخصية "عبد القادر المازني" والتي تتمحور حول"الدوران في محارة الذات"، فهو يرى أنها تندرج تحت الرواية العائلية لشخصية المازني، منطلقا من السيرة الذاتية لبطل الرواية، حيث قسم بطولة الرواية إلى (إبراهيم الكاتب وإبراهيم الثاني).

1- ينظر: زين الدين المختاري، المدخل الى نظرية النقد النفسي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص12.

"نلاحظ طابع السيرة الذاتية الغالب على قصتي "إبراهيم الكاتب" و"إبراهيم الثاني"الذي أطرى الروايتين سمح ببروز الرواية العائلية، التي حددها "طرابيشي" من خلال توضيح أسس الصلة القائمة قصد سرد السيرة الذاتية للبطل "إبراهيم" في الروايتين "إبراهيم الكاتب" و"إبراهيم الثاني" فنجد صورة الأم حاضرة ومهيمنة على تفكير البطل، الذي يحس باستمرار أن وجوده مرهون بوجود أمه"[1].

وما نلاحظه أيضاً أن "طرابيشي" انطلق من تحليله لشخصية المازني، قد استند إلى سيرته الذاتية حيث يرى أن البطل قد شغل تفكيره صورة واحدة للمرأة ألا وهي الأم لا غيرها، وأن لا مجال لإقامة علاقة مع امرأة أخرى، وهذا الصدود عن المرأة خليلة كانت أم صديقة، هو في التحليل الأخير صدود عن الجنسية فمادامت الأم امرأة ومادمت كل امرأة حاملة للجنس بحكم غريزتها النوعية، فإن المرأة الوحيدة التي يمكن أن يحبها إبراهيم لابد أن تكون امرأة بلا جنس[2].

نرى أن طرابيشي اكتشف أن البطل في رواية إبراهيم يعاني عقدة مفادها أنه لا يستطيع حب أيّة إمراة لأن قلبه معلق بحب إمراة واحدة وهي الأم وهذا واضح جداً من خلال أحداث الرواية .

1- خديجة فارسي، النقد النفسي في كتاب عقدة أوديب في الرواية العربية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة،2013
ص15 .

2- المرجع نفسه، ص155 .

1-3 أبعاد الشخصية:

لدراسة الشخصية في العمل الروائي ينظر إليها :«من خلال أبعاد ثلاثة : البعد الجسمي البعد النفسي والبعد الاجتماعي ولعل تقسيماً كهذا لمكونات الشخصية الروائية يواجه بعض النقد، ولاسيما أن العناية توجهت إلى بنية الشخصية من الداخل، والاهتمام بعالمها الداخلي وبنوازعها وأفكارها لتتحول إلى شخصية محسوسة من خلال ردود أفعالها ومواقفها، ومثل هذا البناء الداخلي الذي يمكن تلمسه من خلال السلوك الفعلي للشخصية في بنية النص الروائي»[1].

تُسْهم هذه الأبعاد الجسمية والنفسية والإجتماعية في رسم صورة شبه ناضجة عن الشخصية الروائية وما يهمنا من هذه الأبعاد: "**البعد النَّفسي**" لأننا بصدد دراسة الشخصية من منظور نفسي كون هذا البعد يتعلق «بالمزاج و الميول، وما يعتري الإنسان من مركبات نقص تؤثر أكبر التأثير على كيانه الاجتماعي أو الجسماني، فما من سلوك أو فعل يأتيه الإنسان إلا وله دوافع وبواعثه»[2]، فلكل إنسان مركبات نقص تؤثر على كيانه النفسي والاجتماعي مما ينتج عنه ردود فعل وأبعاد مختلفة.

كذلك «الأحوال الفكرية و النفسية، وما ينتج عنها من سلوكات وتصرفات وآراء يدلي بها في مناجاته وحواره مع الآخرين، فما يفكر العامل غير ما يفكر به الطالب»[3].

نفهم من هذا أن ما يفكر فيه الشخص وما يختلج نفسه من تصرفات وسلوكات تختلف من شخص إلى آخر.

1- عبد القاضي المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية، ت: أحمد إبراهيم الهواري، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1،2009، ص68

2- شكري عبد الوهاب، النص المسرحي- دراسة تحليلية وتاريخية لفن الكتابة المسرحية-، المكتب العربي الحديث الإسكندرية،1997، ص56 .

3- محمد عبد الغني المصري، مجد محمد الباكير البرازي، تحليل النص الأدبي بين النظرية و التطبيق، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ص195.

فالشخصية هي مجموعة سمات، فإذا كانت موجودة فإننا نتمكن من قياسها كأبعاد الشخصية ومنه فالشخصية لها أبعاد يمكن قياسها لمعرفة خصائصها، والسمات هي هذه الأبعاد مثلاً إذا عرفنا ذكاء الفرد فإننا عرفنا بعداً من شخصيته[1].

نستخلص من كل ما سبق أن الشخصية الموهوبة والمبدعة تُعرف على أنها الوجه المستعار الذي يضعه الممثل على وجهه من أجل التنكر، كما تظهر بالنسبة للآخرين وليس كما تظهر في الحقيقة، ومن بين الشخصيات نجد الشخصيات الروائية والتي تعتبر العمود الفقري الذي تتبني عليه الرواية لأن لولا وجود أشخاص لما تأسست رواية أصلاً لأن الشخصية تصنع اللغة والحوار وتقوم بالأحداث وهدفها توصيل الرسالة إلى المتلقي .

ونظراً للأهمية البالغة التي احتلتها الشخصية الروائية ما دفع الكثير من النفسانيين لدراسة هذا الجانب المهم و الغامض من الحياة الأدبية، فدرسوا عدة شخصيات روائية من منظور نفسي وتعرفوا على الشخصية الروائية من خلال التصرفات، والممارسات، وعلاقاتها مع بعضها البعض من خلال هذا كله يكتشفون الجانب الخفي والمظلم من الشخصية، فهؤلاء يتحدثون عن المكبوتات والعالم اللاواعي، وبهذا علماء النفس يصنفون الشخصيات الروائية : إما شخصيات سوية (هادئة ومستقرة و مطمئنة) أو مرضية (انطوائية أو مزاجية أو مجرمة)، ونرى أن البعد النفسي يساعد على تبيان ملامح الشخصية في العمل الروائي .

1- نبيل صالح سفيان، المرجع السابق، ص 58

الفصل الثاني

الفصل الثاني

تجليات البعد النفسي في شخصيات الرواية.

المبحث الثاني: التعريف بالشخصيات وأبعادها النفسية.

المبحث الثالث: العلاقات النفسية بين الشخصيات ومساهمتها في بناء الرواية.

تمهيد:

"إن أكثر الأعمال الأدبية انفتاحا على المنهج النفسي في العصر الحاضر، هي الأعمال الروائية بحيث يفضح فيها الروائي العديد من غرائزه وطباعه ويصبغها على شخصيات روايته ويعمل في هذه الحالة التحليل النفسي وضع وإزالة النقاب على تلك الرموز التي عمد إليها الروائي من أجل تمرير خطاباته وإيديولوجياته بواسطة رشوة العمل الفني الرائع الذي يقدم للقارئ"[1].

إذن انفتح المنهج النفسي في العصر الحالي على الأعمال الروائية بوجه خاص ومحاولته اكتشاف مكبوتات الروائي من خلال روايته، ومنها يعملون على إزالة الغموض وتوضيحها وتقديمها للقارئ.

"تملك الرواية قدرة خاصة على جعل شخصياتها مقبولة وكأنّهم أشخاص واقعيون يخوضون تجربة معاشة، أو يمكن أن تُعاش وذلك لدرجة أننا نشعر إزاءهم بالتصديق، ولا تردد في الاعتراف بمهارة الروائي في خلق شخصيات حقيقية إلى أقصى درجة ممكنة، ولا غرابة في هذا فالكاتب يستطيع من خلال عرضه لواقع التجربة الإنسانية لدى الشخصية، أن يقف على طبيعة الكائن البشري وكيفية إدراكه لغاياته والدوافع التي تحركه فيظهرها كخلاصة مصفاة مركزة لطبيعة الإنسانية برمتها .

1 – حميد حماموشي، التحليل النفسي والأدب ، موقع الأساتذة المبرزين والباحثين في اللغة العربية، 2009 ص7.

ولعل هذا هو ما حدا بعلماء النفس إلى الإفادة من الأعمال الأدبية، واتخذ بعض نماذجهم من الشخصيات باعتبارها موضوعات تتجسد فيها قوى اللاشعور الكامنة في الإنسان"[1].

للراوي قدرة ومهارة تجعل من شخصياته واقعية وحقيقية، ويستطيع من خلالها عرض واقع التجربة الإنسانية.

"في مقابل ذلك راح الروائيون يجدون استخدام محتوى وجهات النظر النفسية واستثمارها في صناعة الشخصيات التخيلية وخاصة في تأثيث حياتهم الداخلية والقبض على انفعالات والتغيرات السيكولوجية التي يكونون موضوعا لها على أن ميل الراوي إلى وصف سلوكات الشخصيات وانفعالاتها بالمراهنة على المعطيات النفسية لم يكن منظورا إليه دائما باحترام"[2]، حيث استخدم الروائيون وجهات النظر النفسية لدراسة العالم الداخلي للشخصيات التخييلية .

1 – حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2009، ص300.

2– حسن بحراوي، المرجع نفسه، ص300.

المبحث الثاني: التعريف بالشخصيات وأبعادها النفسية.

لما اعتمدت الرواية على تقنيات السيرة الذاتية فقد امتزج فيها الواقعي بالمتخيل ما جعل الشخصيات تتأرجح بين العالمين، وربما اتخذت وتخفت تحت لبس رمزي، هذا الامتزاج يجعل الرواية تورطت في الإفلات من مجالها الطبيعي الذي هو الخيال الخالص، والأدبية المحضة إلى الكتابة في مجال الواقع الذي يخضع للتأريخ"[1]، ولقد ذكرت الشخصيات المحورية للرواية والتي لها دور في تفعيل أحداثها وتوجيه سردها، والشخصيات الهامشية التي لها دور تنميقي في تأطير الأهداف والحكاية، ويمكن أن نصنف شخصيات هذه الرواية إلى ثلاثة أصناف :

1-الشخصيات الواقعية: هي شخصية حقيقية موجودة حقاً في الواقع، استخدمها الراوي كشخصية من شخصيات روايته، وأول شخصية واقعية هي:

1-1 الراوي: الذي لم يعرب عن اسمه، وهو "واسيني الأعرج"، والذي ظل بطل الرواية منذ أول فصولها إلى آخرها، فضّل أن يظهر بضمير المتكلم "أنا"، هو شاب جزائري مثقف اغترب لإتمام دراسته في دمشق، أقام في (فيلا) الإطفائية مع مجموعة من الطلبة، وهناك عاش قصة حب كبيرة مع "مريم" الطالبة التي كانت تقيم معه في غرفة واحدة بشكل سري عن سكانها، تجاوزت العلاقة العادية إلى علاقة غير شرعية.

وعليه فلكل شخصية أبعاد، فشخصية "الراوي" لها أبعاد وخلفيات نفسية عاشها في حياته ومرت عليه، وهذا ما استنتجناه من أحداث الرواية، حيث واجه عدة مواقف وأحداث آلمته وأحزنته حزناً كبيراً وأحدثت فراغاً رهيبا لم يستطيع تجاوزه رغم مرور عدة سنين، "فالراوي" عاش متغرباً بعيدا عن بلده فقد أتم دراسته في سوريا، فتكون لديه نوع من الحنين والاشتياق

1- ينظر: عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ص51.

لبلده الذي غادره قبيل العشرية السوداء: « نتشرب هم الغربة في هذه البلد التي تعشق بحدة وترتجف تحت وقع الأحذية الخشنة كطائر قزحي الألوان مهدد بالذبح العلني»[1]، فرغم أن الراوي يعيش في بلد عربي، له فيه أصدقاء من أبناء وطنه إلا أن حالته النفسية صعبة ويعيش لوعة الوحدة والعزلة:« ثم ماذا أيها الطفل المصنوع من حجر الخوف والوحدة ومن ليالي الغربة التي تأكل أطرافك يوميا»[2] ويظهر ذلك أيضا من خلال قوله: « الدراسة والبعد والغربة»[3].

الراوي يعود بذاكرته ويسافر بها إلى ربوع وطنه الغالي وناسه وأحبابه ومدنه:« تباغتني الذاكرة في خلوتي ضاربة عرض القلب بكل أسراري غرباء كنا، الوطن في القلب والأحراش والمدن الساحلية والناس الطيبون والأسواق الصغيرة والأسئلة عبث تبحث عن أجوبة مستحيلة»[4].

وبالرغم من إقامته في دمشق وحبه لهذه المدينة ولكن حبّه للوطن يبقى هاجساً يحول دون استقراره:« هذه المدينة، كلما شعر المرء برغبة احتضانها، مسخت إلى أسراب من الغربان السوداء وكلما اقتربنا منها هربت نحو مسافة أبعد»[5].

كما أن "الراوي" عانى من ويلات العشرية السوداء، وهو ما عاشه معظم الشعب الجزائري ما أثر على نفسيته، والإنكسارات المتتالية والخوف الدائم في قوله:« كانت شوارع المدينة التي بدأنا ننساها الآن، شبه ممنوعة، تهتز فقط للمارشات العسكرية والدوريات اللّيلية وأصداء الرصاص وصرخات القتلة والإغتيالات وصوت الله المبحوح الذي صار يشبه جميع

1- الرواية، ص110.
2- الرواية، ص109.
3-الرواية، ص142.
4- الرواية، ص23.
5- الرواية، ص90.

الخلائق ولم يعد له ما يميزه مطلقاً»[1]، وفي حديثه أيضاً عن العشرية السوداء، كذلك تعبيره عن **الألم** والذي هو حالة نفسية تصيب الأفراد لكن بدرجات متفاوتة، فهناك من تهزمه وتتغلب عليه وتدخله في عالم الإحباطات وهناك من يقاوم لينهض بنفسه من جديد، فهو يرى أن بلده تشبهه في الحزن والوحدة فيقول:« لا أدري إذا كانت مدننا هي المنكسرة أم نحن، لقد صارت تشبهنا كثيرا، حزينة ووحيدة كلما سقطت الأمطار ازدادت عزلة وانكسارا»[2].

وجدنا أن "الراوي" في هذه الرواية كان أكثر وجلّ حديثه عن علاقته "بمريم" وحبه الكبير لها "فالراوي" يَكُن حباً كبيراً "لمريم" يصل حد الجنون **فالحب** وهو أجمل وأنبل المشاعر التي خلقها الله في الإنسان وكثيراً ما تحدثت عنه القصص والحكايات نجده في قوله:« هل تعرفين يا مريم إن المرايا تعبت من كثرة الوجوه؟ وأنا لم أتعب منك صرت أدمنك وأزداد انحداراً نحو الجنون»[3] وكذلك:« كم أحلم مثل المجنون أن أدعوا الله وكل أساتذتك من رامبو إلى سارتر وأطرح عليكم جميعا سؤالا واحدا: هل أحببتم في حياتكم امرأة بدون أن يكون في ذهنكم شيئا أخر سوى حبها»[4]، وعلى الرغم من حبه الكبير لمريم غير أنّه لم يكن مستعد للزواج منها تهرباً من المسؤولية، فهو يعاني ضعف في الشخصية وعدم ثقته بنفسه: « أحبك لكني لست مستعدا للزواج ولا لإنجاب الأطفال مازلنا أطفالا يا مريم نحتاج إلى رعاية إضافية»[5]، "فالراوي" يعاني **صراع داخلي** وينشأ هذا الشعور نتيجة تعارض الدوافع المختلفة بين الشهوات والمبادئ، وبين النزوات والضمير كالصراع بين حبه لمريم وعدم قدرة في الزواج منها:

1- الرواية، ص54.
2- الرواية، ص64.
3- الرواية، ص52.
4- الرواية، ص58.
5- الرواية، ص130.

«لا أراني مرتاحا في هذا التفصيل- الزواج؟

وما معنى الحب إذن؟

الحب ؟ لا أدري ربما كان رهافة كلما حاولنا القبض عليها تفتت كالفراشة المحروقة ربما كان بكل بساطة ديمومة لا يضمنها إلا الزواج؟»[1].

فرفضه للزواج أدى "بمريم" إلى اتخاذ قرار، وردة فعل غير متوقعة منها حينما صارحته أنّها ستتزوج غيره، جعلت من حالته **النفسية محبطة**، متأزمة ومنهارة تماما، وسيئة للغاية وإحساسه بخيبات الأمل في قوله:« وبتنا تلك الليلة كل واحد في القارة التي صنعها من الخيبات والقلق والخوف والأزمنة المنكسرة»[2]، وأيضا في:« شعرت بجرح يرتسم في الأعماق»[3].

زواج "مريم" من غيره جعل "الراوي" يعاني من **تأنيب الضمير** وشعوره بالذنب وهو ما يسمى في علم النفس بعقدة الذنب أحسه الراوي اتجاه حبيبته، وندمه على إنهاء حبهما بهذه الطريقة نتيجة عناده، في قوله:« ربما كنت على حق وأنت تقولين لي في ذلك اليوم الذي فقد زمانه وملامحه: أفكارك هذه ستقودك إلى الجحيم أشهد أني اليوم صرت فيه»[4].

وكذلك:« لماذا الألم يستيقظ فينا دفعة واحدة كلما تعلق الأمر بفقدان امرأة نحبها؟ امرأة قد تكون عادية ولكنها تأسرنا بجنون؟ نتعذب من أجلها وهي ربما تنام براحة بين ذراعي الزوج أو العاشق الذي اختارته لحياتها؟»[5]، « ردي كان باردا الغريب إني لم أوقفك عند خروجك، كان

1- الرواية، ص63.
2- الرواية، ص184.
3- الرواية، ص186.
4- الرواية، ص63.
5- الرواية، ص205.

عليّ ربما محاولة إقناعك والعودة إلى الحديث بدل تركك تخرجين هكذا من حياتي»[1]، وشعوره بالندم والحسرة « لم أبك ولكني رغبت في ذلك كان كل شيء قد انتهى»[2]، وأيضا في قوله:« افتقادك لم يكُن سهلا، تبدأ الحرقة تنمو في القلب كالبركان»[3].

وكذا إحساسه بالخذلان والإخفاق بعد ما كانت حبيبته بجانبه ويجد نفسه وحيداً:« ماذا يحدث عندما يخذلنا يقيننا؟ عندما نتوقف في منتصف الطريق ونتذكر فجأة أننا نسينا شيئا مهما فنعود ركضا نبحث عنه وعندما نصل لا نجده؟ ماذا يحدث عندما يمر حبنا عاديا ورتيبا أمام أعيننا لأننا نعيشه ثم فجأة عندما ينطفئ نشعر ليس فقط بعمق الخسارة والفقدان ولكن العزلة ولا جدوى الحياة؟»[4].

الانكسارات المتتالية، وعدم تحقيق الرغبات وما يتمناه، كلها مكبوتات وعُقد نفسية ما أدت به إلى الكتابة، فهي التي تمنحه القوة لمواصلة طريقه من أجل النسيان:« عندما ننكسر الشيء الوحيد الذي يجعلنا نجبر الكسور هو الكتابة»[5].

لهذا تكون الكتابة عنده تعبيراً عن آلامه وآهاته، وما يختلج روحه، فهي الملجأ الوحيد لحل مشاكله وانكساراته:«مثل جميع البشر أكتب من انكساراتي وأشواقي»[6]، وعلى لسان "مريم" تقول:«أنت على الأقل لك الحروف والجمل تقاسمها حزنك»[7]، فهو يكتب ليشفي ذاكرته من كل

1- الرواية، ص186.
2- الرواية، ص187.
3- الرواية، ص190.
4- الرواية، ص193.
5- الرواية، ص223.
6- الرواية، ص223.
7- الرواية، ص226.

ما مرّ به وبالتحديد ليشفي من عذاب وحب "مريم" التي لم تصبح ملكه أبداً بعد زواجها:« أنا أكتب عن امرأة فيّ ومني قد تكون موجودة لكن المهم هو وقعها في داخلي»[1].

والشيء الأصعب الصدمة التي تعرض لها التي حطمته نهائياً هو فقدانه "لمريم" وابنته "سارة" والذي لم يستطع نسيانهما أبداً حتى بعد مرور عشرين سنة، فترك موت "مريم" فراغاً كبيراً، لا يملأه أحد بعدها:« البرد، البرد دائما وأنت تقتحمين الذاكرة بعنف شديد، عشرون سنة مرت على غيابك أنت وسارة، ما تزال اللّحظات الأولى هي هي، في قمة اشتعالها، لا شيء فيها تغير، أراك وإذ تأتين لا شيء يقف في طريقك حزين وماذا يستطيع الحزن فعله أمام اليأس، ينتابني الإحساس

أحيانا أنني مررت بالضبط بجانب الحياة، حاذيتها بدون أن أتمكن من لمسها ككل الخاسرين»[2].

نرى أن شخصيته **شخصية استرجاعية**، فهو يعود بذاكرته إلى الأيام التي خلت، والتي عاشها مع حبيبته ولم يستطع نسيانها:« البرد والعزلة المقابر وعشرون سنة من المحاولات اليائسة لنسيانك وفصول السنة التي لا تتغير أبداً في هذه المدينة»[3]، بالإضافة إلى هذا كله "فالراوي" تذوق المعاناة وعاش الشقاء والحزن والخسارة منذ طفولته :« لست شقيا رغم أني ورثت الحزن عن كل أجدادي»[4]، وأيضا في قوله:« وطفلا بئيسا تربيت»[5].

1- الرواية، ص223.
2- الرواية، ص229.
3- الرواية، ص277.
4- الرواية، ص151.
5- الرواية، ص158.

كما أنّه عاش حياة غير مستقرة خاصة افتقاده للحنان الأبوي، بعد تخلي الوالد عن عائلته وذهابه نحو الخارج:« والدي بكل بساطة خرج ولم يعد، عندما سألت الجدة وأمي المتعبة عنه، قيل لهما أنّهم رأوه يركب الباخرة ذاهباً نحو مرسيليا»[1]، كذلك في قوله:« لأن والدي قضى كل عمره في الغربة»[2]، بالإضافة إلى فقدانه لأعز الناس والأصدقاء، وأقربهم "عيد عشاب" فقد ترك أثراً كبيراً وحرقة على فقدانه:« ظلت صورة عيد عشاب الذي خرج من لعبة الدنيا مبكراً، عالقة بذهني»[3]، وفي قوله أيضا:« عندما يرحل الذين نحبهم، يأخذون معهم كل أشياءهم الصغيرة إلاّ ابتساماتهم وأسئلتهم فهي تبقى معنا»[4].

ومن خلال دراستنا للرواية، تظهر لنا أن نفسية الراوي نفسية **متشائمة**، وهي ظاهرة نفسية تفضي على حياة الإنسان ليرى من خلالها أن الموت أفضل من الحياة، فكان جُلّ حديثه عن الحزن والموت والألم والمقابر والانتحار والبرد والعزلة والصمت، كلها مفردات توحي أنّه كان قد وصل إلى مرحلة اليأس من الحياة، وكل هذا كان بفعل الحياة القاسية التي عاشها، ضف إلى ذلك تظهر لنا أنها شخصية مريضة، غير سوية وذلك من خلال كلامه عن الله والمقدسات مما أدى به الخروج عن الدين، **وانحرافه الجنسي** وهي المخالطة غير مشروعة وهو الاتصال الجنسي غير الشرعي خارج نطاق الزواج (العلاقة غير الشرعية مع مريم).

1-2- مريم: هي شابة جزائرية مثقفة من أسرة فقيرة، وكانت تتميز بوجه جميل يشع نوراً وجمالاً خاصة تلك الخانة التي تنزلق على الجهة اليسرى على رقبتها، وهي طفلة تحب الألبسة

1- الرواية، ص137.
2- الرواية، ص159.
3- الرواية، ص257.
4- الرواية، ص279.

وتعشق الأشياء الجميلة التي تبعث في النّفس الراحة والطمأنينة، كما كانت تميل إلى الألوان الفاتحة، كانت شخصية ناجحة في دراستها تحصلت على شهادة البكالوريا سعت لإتمام دراستها في الجامعة رغم رفض والدها، حيث سافرت إلى سوريا وتعرفت على شاب جزائري ونشأت بينهما قصة حب انتهت بدون زواج، كانت شخصية جريئة شجاعة وتواجه كل ما يعترض طريقها.

ورغم أن شخصية "مريم" شخصية مرحة ومفعمة بالحيوية ومحبة للحياة، إلاّ أن صعوبة الحياة والظروف القاسية التي عاشتها، غيرت مجرى حياتها كلّها فنجدها عانت من ويلات الغربة والعشرية السوداء التي كان لها وقع كبير على نفسيتها ويظهر ذلك في قولها:«في أرضنا كل شيء جففوه، حتى الماء رحمة ربي»[1].

وأيضا في قولها:« أنا مثلك في الألم، حزينة على أرضنا التي قتلها المناضلون والثوار من فرط حبهم لها خربوها وشلوها، بل قتلوها»[2]، تظهر مريم متألمة وحزينة إلى ما وصل إليه وطنها جراء الإرهاب الذي دمرها وخربها .

نرى "مريم" متعلقة وإلى حد كبير بأمها، خاصة عند بعدها عنها حيث تقول :« الأيام الأولى داخل الجامعة كانت صعبة وقاسية وجه أمي صار كوجه الله، أراه طائرا في كل مكان، وكلّما انغلقت عليّ السبل، ناديتها، في اللّيل تأتيني في نفس الإزار الأبيض»[3].

---

1 _الرواية،ص96

2- الرواية، ص96.

3-الرواية، ص42.

ولكن الفاجعة الكبرى كانت بوفاة أُمّها، وفقدان أعز النّاس في الكون ما أدى إلى تحطم كلي لنفسيتها نجده في قولها:« انطفأت أمي ومعها انطفأت مرحلة من حياتي»[1]، فموتها ترك في قلبها فراغاً لا يعوضه أحد وحاجة ماسة إلى حنانها:« يومها بكيت كطفل سرق منه ثدي أمه وهو في حالة جوع – الأم حنان لا يعوض»[2]، وأيضا نجد ذلك على لسان الراوي في قوله:« أصداء آلام أمك وصيحاتها تحفر ذاكرتك المتعبة وتُعذب كلما تحدثت عنها»[3]، فهي ترى في أمها كل شيء وبريقاً لها وبفقدانها للأم فقدت ذلك البريق: « كم أشتهي أن أكون ابنة أمي فقط ولا أحد لي سواها أمي بكيتها بحرقة يوم ماتت، عندنا في البلدة يقولون اللي يتيم، يتيم من أمه»[4].

كذلك تحمل في داخلها جوعاً وفقداناً للحنان فطفولتها كانت متعطشة لدفء الأسرة، حيث ذاقت مرارة الحرمان من حضن الوالد في قولها:« فكل الرجال كانوا يبدون لي شبيهين بوالدي »[5].

وبحكم أن والدها كان متسلطاً ومتجبراً، فقد عانت مريم وعائلتها خاصة أمها من سوء معاملته لهم فقط لأن ذنبهم الوحيد أنهم بنات، ومحاولته التخلص منهم بأي شكل من الأشكال، وحرمانهم من أبسط الأشياء، في قولها:« يومها كرهته وأعتقد بشكل نهائي»[6]، تذوقها لمرارة اليتم جعلها تهرب من ذلك الإحساس المدمر إلى فضاء أخر يحتضنها ويعطيها الحنان الذي مات

1- الرواية، ص43.
2- الرواية، ص172.
3 - الرواية، ص172.
4- الرواية، ص69.
5- الرواية، ص27.
6- الرواية، ص43.

بموت أمها فوجدت في حب "واسيني" الدفء والحنان اللّذان فقدتهما بعد وفاة أمها:« أحبك؟ كلمة لا تكفي لتكنس هذه الغربة الشاقة التي تملأني»[1]، وأيضا قولها:« فأجدني في أغلب الأوقات أبحث عن صدر حنون، لا أفتقده ولا يفتقدني»[2].

نظرتها للحياة كانت نظرة **متشائمة** فهي تراها حياة معقدة وظالمة تمر بسرعة وتسرق أجمل أيامها مع حبيبها:« لماذا الحياة معقدة إلى هذا الحد؟ لماذا العمر لا ينتظرنا قليلا ريثما نحل مشاكلنا ويواصل؟ لماذا يسرق من حقنا؟»[3].

نجد أن مريم تعاني من الخوف و**القلق** الذي يعتبر ترجمة للأعراض الجسدية والبيئة المحيطة به ما تشجع على ظهوره فالشخص الذي يكبت وأحزانه ألامه أكثر عرضة للقلق، ونجده عند مريم اتجاه عمرها الذي تراه حاجزاً يحول دون تحقيق رغباتها في أن تكون أُماً، فسرعان ما تستيقظ فيها عاطفة الأمومة جارفة كل المفاهيم التي جاءت بها من قريتها أو لقنها إياها الراوي فنشأ عن ذلك تمزق عاطفي كانت الغلبة فيه للأمومة :« أنا كبرت ثلاثون سنة، نتزوج ونعيش، لسنا أفضل من بقية البشر الذين يحيطون بنا»[4]، وأيضا في قولها:« وأنا سني يربكني، صرت أخافه، لنتزوج ونسافر أينما شئت»[5].

طلبها لزواج من واسيني، وعيش حياة مستقرة ومريحة، قُوبل بالرفض، مما نتج عن ذلك ضغوطات وتحطم كلي للأحلام التي رسمتها، وكسر أفق توقعها مما أدى بها ودون تفكير وفي لحظة غضب إلى الزواج من رجل أخر وهذا بسبب تفكير حبيبها اللامبالي مما ترك **إحباطاً**

1- الرواية، ص38.
2- الرواية، ص144.
3- الرواية، ص144.
4- الرواية، ص58.
5- الرواية، ص174.

وإكتئاباً في نفسيتها:« كم أنا مرهقة وحزينة من أجل نفسي وللوضع الذي ألت إليه حالنا، وحزينة جدا من أجلك لأن رأسك يابسة كالحجر»[1]، وأيضا على لسان الراوي:« أعرف أني سأخذلك بكلامي هذا ولكن أفضل من أن أخذلك وأنا زوج لك»[2].

فـــ"مريم" خادعت نفسها بالركون إلى زوج يضمن لها بذرة تكون امتداداً لها وله، إلاّ أنّها سرعان ما جمعت بين نقائض متعددة، جريمة الخيانة، وجريمة الحمل غير الشرعي جرياً وراء مجموعة **متناقضات** فهي مخدوعة بهذا التناقض قبل أن تخدع سواها وبهذا السلوك تبقى وفيّة لنوازعها الداخلية :« تزوجت لأنساك وصرت مريضة بفقدانك المتكرر ولم يزدني غيابك إلا ضلالة والتصاقاً بك»[3]، إذا وضعنا تصرف مريم في الميزان الأخلاقي فهي تعتبر خائنة لبيتها ولزوجها .

وبالرغم من أنّها تزوجت إلّا أن الضغوطات التي تعيشها مع حبيبها وصمته الدائم زادها كآبة وحزناً:« غيابك يقتلني والحماقة التي أنا فيها تجهز على ما تبقى من عقلي»[4].

أصبحت تفكر في الإنتحار في قولها:« والله صرت أخاف أن أنتحر ذات يوم»[5]، ومن أكبر الانكسارات التي تعرضت لها مريم، هي فقدانها لأعز النّاس عليها من أصدقاء، وفاة "سهام" و"عيد عشاب" وخاصة أختيها الصغيرة والكبيرة:« بدأت بالأخت الكبرى خيرة، التي كانت تشبه أمي في أميتها وخوفها علينا، تركت فراغا كبيرا في البيت بانتحارها»[6].

1- الرواية، ص140.
2- الرواية، ص87.
3- الرواية، ص233.
4- الرواية، ص177.
5- الرواية، ص189.
6- الرواية، ص41.

نجدها تعاني **الكبت والوحدة** والذي يحدث في الأصل عن الصراع بين رغبتين متضادتين يحدث أحدهما في دائرة الشعور وينتهي بحكم النفس في صالح إحدى الرغبتين والتخلي عن الأخرى، وهما سمتان بارزتان في شخصية مريم:« وأنا لا شيء لي إلاّ الصمت والتفكير بشكل دائم فيك، أكبر مشكلة في الصمت أنه صديق أخرس وأناني، يسمع ولا يجيب»[1].

تعاني اضطراب القلق والخوف من الموت وإحساسها الدائم أنها ستموت، ومعرفتها أنها ستغادر هذه الدنيا:« حزينة فقط لأني سأتركك وحيدا»[2]، وقولها أيضا:«إذا مت، أن تدفنني على هذه الأرض، ليس بعيدا عن عيد عشاب الذي عاش ما كسب، مات ماخلا»[3].

3-1 عيد عشاب: هو أكثر الشخصيات التي تستوقفنا في الرواية فله دور كبير في تفعيل أحداث الرواية، ظهر من خلال مذكراته التي تركها لصديقه والذي أوصلها بدوره إلى حبيبة عيد عشاب "سيلفيا"، وهو شاب جزائري مثقف من مدينة "تبسة"، كان سباقاً لسوريا من أجل إتمام دراسته أقام في غرفة فقيرة مستأجرة، وقع في حب "سيلفيا" لكن لم يكتب لهذا الحب أن يتحقق نظراً لاختلاف الديانة.

تميزت هذه الشخصية بإقبالها على الشرب، وهذا كحل للهروب من الواقع المرير الذي يعيشه والذي فرضته عليه الظروف، كان صديق مريم والراوي وساعدهما في حبها لذا اعتمد الراوي على مذكراته في بناء أحداث روايته، شاهده الأكبر الذي جسد أفكاره وسيده الأعظم

1- الرواية، ص226.
2- الرواية، ص275.
3- الرواية، ص275.

وشيخه الأكبر محي الدين بن عربي فيما يورد له من مواقف، فقد كان يحبه ويتبعه من أجل اكتشاف"طوق الياسمين".

إن المعروف على اسم عيد أنه يدل على الفرحة والبهجة والبشاشة غير أن شخصية "عيد" في الرواية يعيش القلق والتوتر والحزن فقد عاش عيد عشاب الغربة بعيداً عن وطنه واشتياقه الذي ترك له فراغاً شاغراً في قلبه:« فجيعات الغربة لم تكن متساهلة مع أحلامه ولا متسامحة مع تماديه في خيالاته»[1].

فقدانه لأجمل إحساس وهو حرمانه للعاطفة والشعور بالحنان الأبوي، فقد حرم منه بالرغم من أنه كان على قيد الحياة وغنياً، فلم يعطه أي اهتمام، وكأنه غير موجود:« أب غني لم يرى وجهه إلا في الصور»[2]، وفي قوله أيضا:« ابنك الوفي دوما لك حتى ولو نسيته في هذا القفر»[3]. وأيضا في قوله:« ولكني رأيت والدي الذي نسيني في هذا القفر وهو يركض نحو السواد، تاركاً وراءه امرأة طيبة تنتظر يوميا عودته...آه يا أبي، ماذا فعلت؟»[4].

كما تتميز شخصية "عيد عشاب" بحبه الكبير "لسيلفيا" فقد كان حبهما عذري وشريف، وكرهه للأديان والحياة لأنّها كانت سبباً في تفريق وإنهاء حبهما في قوله:« لا أدري ولكني في كل يوم أزداد كرها للحياة والأديان»[5]، ورفض أهلها تزويجها إياه بحجة الإسلام في قوله:« كنا منكسرين للمرة الألف يكون رد عائلتها قاطعا، لا زواج، أنت مسلم ونحن مسيحيون»[6].

1- الرواية، ص139.
2- الرواية، ص105.
3- الرواية، ص138.
4- الرواية، ص22.
5- الرواية، ص33.
6- الرواية، ص 33.

تظهر شخصية "عيد عشاب" أنه شخصية متصفة بالضعف والهشاشة **وفقدانه للإرادة** يتضمن هذا الاضطراب تراجع القدرة على التفكير والفعل وهي حالة من المظاهر المرضية لبعض الأمراض النفسية، فهو لم يواجه ويدافع عن قصة حبهما، وقبل الهزيمة دون محاولة إيجاد حل لمشكلتهما، إضافة إلى إقباله على وسيلة دنيئة وهي **هوسه للشراب** وهو الإلحاح القهري للانغماس في تعاطي الكحول، وهذا للهروب من واقعه المرير والقاسي ويظهر ذلك في قوله:« أنا هكذا يا سيلفيا، الريح اللّي تجي تديني، هش ومرهق، غيابك يتعبني ويقتلني، البارحة شربت كثيراً لأني بدأت أشعر باللاّجدوى»[1].

كما أنه قليل الحديث ويحب العمل بمفرده، فيجد الكتابة سبيله الوحيد للهروب من الواقع، فهي تعتبر صديقه الوفي، الذي يشاركه ألمه وحزنه جراء حبه المستحيل على لسان مريم : «صديقك

"عيد عشاب" يكتب لنفسه مذكراته وحبه المستحيل لا يهمه الآخرون، تهمه نفسه وأحزانها فقط»[2]، إحساسه الدائم بالوحدة، وباقتراب الموت منه فهو يرى أنه سيموت وحده دون أن يسأل عنه أحد، وهو شعور صعب ومؤلم ومدمر، خاصة بعد فقدانه لأصدقائه، وذلك بموت صديقته "سهام".

1- الرواية، ص82.
2- الرواية، ص239.

وفي قوله:« يبدوا أن الوحيد الذي سيموت على هذه الأرض بدون أن يسأل عنه أحد، هو أنا أنا ولا أحد غيري، جسدي كله صار مريضا»[1]، وفي قوله أيضا:« طلب مني أن أتبعه نحو طوق الياسمين كنت أعرف أنه يقودني نحو الموت»[2].

"عيد عشاب" عاش كل من الحرمان، وفقدان الحبيبة، والكتابة التي لم يستطيع بها تحقيق ما يتمنى والغربة، كل هذا جعل منه إنساناً محطماً وذا نفسية محطمة وحزينة، ويظهر ذلك على لسان الراوي في قوله:« إن عيد عشاب لا يقتله العرق ولا البراندي أو المازوت، كما كان يسميه ولكن ستقتله المستحيلات: امرأة دوخته، لم يستطع أن يقاتل حماقات أهلها بعد أن رفضوا تزويجها له بحجة إسلامه، وأب غني لم يرَّ وجهه إلا في الصور... وموهبة فنية لم يجد من يفجرها ووطن ظل يشبه الضباب والأدّخنة الداكنة»[3]، وبهذا نرى أن شخصية "عيد عشاب" **شخصية مريضة** وذلك جراء التناقضات التي حدثت في حياته فكانت كل الظروف ضده.

1-4 سيلفيا: فتاة سورية، مسيحية الدّيانة، من أسرة مرتاحة مادياً واجتماعياً، وهي شابة مثقفة عاشت قصة حب، جمعتها مع "عيد عشاب" الشاب الجزائري، قوبلت هذه العلاقة بالرفض من قبل والدها بسبب اختلاف الديانة، ولكن رغم المعارضة إلا أنها تمسكت بحبها لـــ"عيد عشاب" وبقيت وفيَّة لحبه حتى وفاته، كانت صديقة كل من "الراوي" و"مريم" وساعدتهم في حبهم وهذا له دلالة على قوة شخصيتها .

من خلال دراستنا لشخصية "سيلفيا"، وجدنا أنها لا تعاني الغربة واليتم فقد كانت مرتاحة مادياً إلا أن هذا كله لم يكف، فقد عاشت قصة حب كبيرة، قوبلت بالرفض فهي تعاني الشوق

1_ الرواية، ص221.
2- الرواية، ص277.
3- الرواية، ص105.

والحنين للحبيب، نظرا لعلاقتها التي ليس لها مستقبل مع "عيد عشاب"، الذي تمنته دائما نجد هذا على لسان الراوي:« أخذتني سيلفيا، صديقتنا إلى بيت أهلها طيبة، وحزينة لوضعيتها مع عيد عشاب وللوضعية التي آلت إليها علاقتنا»[1].

ويظهر ذلك أيضا على لسان "عيد عشاب":« أبوك أقسم أن لا تلمس جسدك يد مسلم وهو لا يعرف أن لا سلطان على الجسد أبدا»[2] وأيضا في قوله:« كلانا ضحية كيانات مفلسة، أبوك رفض سعادتنا، ووالدي رماني في برية كأي حيوان»[3]، إلا أن الفاجعة الكبرى هي وفاة "عيد عشاب" الفجائي الذي مات من تسمم كحولي والقنوط، ترك صدمة كبيرة لديها.

نجد ذلك على لسان مريم:« سيلفيا ما تزال تحت وقع موت "عيد عشاب" الفجائية الذي أكله اليأس أكثر من كأس عرق الريان»[4]، وكذالك في قولها:« عشرون سنة وأنا أقاوم عبثا شططه وها أنت اليوم تضيف إلى شقائي حزنا أخر، هو على الأقل ذهب وارتاح، ربما... كم أشتهي أن أنساه لأتفرغ لابني وأمي وزوجي ولكني مريضة به ويبدوا أني سأنقله معي إلى القبر... محنة العاشق أنه لا ينسى أبدا»[5]، فالبرغم من زواجها بعد وفاة "عيد عشاب" إلا أنها تراه بمثابة انتحار لها:« تزوجت، عفوا انتحرت مثلما أراد لي والدي»[6].

بالإضافة إلى **حالتها النفسية المتأزمة والمضطربة** وهي نفسية غير سوية، خاصة بعد وفاة صديقتها مريم، فقد كانت قريبة جداً منها سبب ذلك انكساراً أخر يضاف إلى باقي انكساراتها في

1- الرواية، ص188.
2- الرواية، ص12.
3- الرواية، ص12-13.
4- الرواية، ص253-254.
5- الرواية، ص14.
6- الرواية، ص14.

قوله:« ارتمت على صدري وتركت العنين لنحيبها. كانت تبكي مريم ولكنها كانت تبكي كذلك عيد عشاب»[1].

2-الشخصيات التخيلية: وهي الشخصيات المبتكرة، والتي ليست مرجعية ولا واقعية " لكن ذلك لا يمنع اشتمالها على مواصفات واقعية، وقد يلجأ الراوي إلى خلق هذه الشخصيات، ليعزز موقف الشخصية المركزية"[2]، ويدرج في هذا الباب جميع الشخصيات الباقية في متن الرواية والتي ليست مرجعية ولا واقعية.

2-1 أم مريم: هي امرأة غير مثقفة، لم يُذكر اسمها في الرواية ولم تكن لها أي علاقة مع الشخصيات الأخرى غير عائلتها، أم لسبع بنات، عاشت حياة مزرية ملؤها الفقر، إضافة لعراكها الدائم مع زوجها خاصة عندما تحدثه عن المال، ساعدت ابنتها مريم لإتمام دراستها في الجامعة مرضت في أيامها الأخيرة ودخلت المستشفى بمساعدة مريم، وظلت تصارع المرض إلى أن ماتت دون إن يودعها أحد خاصة مريم.

وتعرضت أم مريم لمشاكل كبيرة في حياتها، فقد عانت كثيرا من قبل زوجها الذي كان ظالماً بحقها وبحق بناتها، ما زاد من تأزم نفسيتها وتحطمها، فكانت شخصية حنونة و حزينة، على لسان مريم:« كانت مسكينة لو رفعت صوتها قليلا في وجه واحدة منا تظل حزينة طوال اليوم، وتعتذر... قتلها الغبن والسرطان»[3]ومن خلال هذا نرى أن أم مريم إنسانة حنونة جداً وتحب بناتها كثيراً وهذا ما يسمى "**بعُقدة جوكستا**" وهو في علم النفس تعلق وخوف الأم الزائد

1- الرواية، ص268.

2- ناهضة ستار، بنية السرد القصصي- المكونات الوظائف والتقنيات-، منشورات إتحاد الكتاب العرب دمشق، 2003، ص185 .

3- الرواية، ص172.

على أولادها، في قولها أيضا:« كانت أمي تغضب من تزمته وشكوكه وظلامه»[1]، وأيضا:« والدي يصر دائما موقفه بأنه لم يعد قادراً على تعليمنا والأم تصبر وتجامل حتى تصل إلى نزع غلالة الحقد من عينه»[2].

وفاة ابنتها أمام عينيها حطمها كلياً وكسر قلبها ونجد ذلك واضحاً على لسان مريم:« خرج إلى شأنه اليوم وهو يردد أمام أمي المنكسرة الله لا يردها، زايد ناقص وعندما حطم جارنا الباب كانت قد تفحمت وتحولت إلى رماد»[3] وأيضا: «مسحت أمي دمعها وتمتمت بعض الكلمات»[4]، وخوفها وقلقها من النهاية في قولها:

« لقد تعبت، أعتقد أنها النهاية».

وأيضا في قولها:

-« لا أبدا يا بنتي، اللي جاء وقته ما يطمع في وقت الناس، هذا اللي أعطى الله »[5].

2-2 أب مريم: شخصية متسلطة، فقيرة غير قادرة على إعالة أسرته، لا يأبه بتعليم أبناءه، كان دائم التذمر لكونه أباً للبنات ويرى فيهم فضائح، لم يحزن لموت زوجته وابنته، بل فرح بذلك لأنه لن يعيل فما سابعة، فهو أب مجرد من إحساس الأبوة، كان يقضي يومياته بين شرب القهوة وتعليقاته المتكررة وبين حقله.

من خلال دراستنا للرواية تظهر لنا أن شخصية أب مريم من دون أن نتعمق فيها بشكل كبير أنها نفسية معقدة ومتشائمة ويعاني **(اضطراب نفسي)** كما أنه قاسي القلب وعديم الرحمة،

1- الرواية، ص39.
2- الرواية، ص40.
3- الرواية، ص41.
4- الرواية، ص42.
5- الرواية، ص39.

ويظهر ذلك من خلال تصرفاته خلال أحداث الرواية، وكرهه لزوجته وبناته وحتى لنفسه دليل على ذلك ويظهر ذلك على لسان مريم:« الأم والبنات تحت قدميه وشقاوته، كنا نعاني من مرارة مقته لكل شيء، حتى لنفسه، لم يكن يحب تعليمنا لم يكن يتوقف عن ترديد جملته التي لم تعد تثر أي واحد في البيت من فرط التكرار سبع بنات، سبع فضائح، علي أن أحرسها... يكفي البنت القراءة والكتابة»[1].

أيضا على لسان مريم :« كان والدي الذي أشك في أن الله سيسامحه لما فعله فينا»[2]

حيث لم يحرك أي ساكناً بوفاة ابنته خيرة:« لفت نفسها في غطاء صوفي وكبت على نفسها البنزين وأشعلت النار بعد أن سدت كل المنافذ، أبي لم يحرك ساكنا... الله لا يردها، زايد ناقص»[3].

2-3 صالح : شاب مثقف طالب بالجامعة، من سكان (فيلا) الإطفائية هو زوج مريم التي لم تحبه لأنه كان شبيها بوالدها في أخلاقه، كان شاباً أنانياً متعجرفاً يحب أن يكون كل شيء ولا شيء في نفس الوقت، غير مستقر على رأي واحد، يستغل الأحداث والمواقف لينال ما يرغب فيه وهذا ما فعله مع مريم، وهو شخصية ضعيفة تهزه أبسط الأشياء وسيلته البكاء وكأنه امرأة.

لقد كان صالح أسوء من أب مريم في تعامله معها، فهو يعتبرها مجرد جسد يتمتع به شخصية تتمتع بحب التملك **والتسلط والسيطرة** ويظهر على لسان الراوي:« كان أسوء من أبيك. فأنت بالنسبة له لم تكوني أكثر من سرير يركبه الواحد لحظة احتراق الشبق المدفون»[4].

1- الرواية، ص39.
2- الرواية، ص39.
3- الرواية، ص41.
4- الرواية، ص52.

كما أنه يعيش من حين لآخر حالة **تأنيب ضمير** لأن أمه ماتت أثناء ولادته يظهر ذلك على لسان الراوي:« يؤلمني عندما يحدثني عن أمه التي ماتت في ولادته لدرجة أنه يشعر بعقدة ذنب»[1]، كذلك الضغوط المتكررة التي يمارسها عليه أصدقاؤه، جعلت منه إنساناً **عدوانياً** يفعل أي شيء فقط للحفاظ على مريم ويظهر ذلك على لسان مريم:« احذر- صالح يستعد للمكروه، لقد شحنه المأزومون ضدك كما تسميهم»[2].

2-4 خيرة: هي أخت مريم الكبرى، فتاة شبيهة بأمها، كانت أمية تخاف على إخوتها كخوف أمها عليهم، ماتت بعد تحملها ألامها ومعاناتها الأسرية.

إنسانه لا تصرح بما يجول في خاطرها، ولا تعبر عن إحساسها، ولا تدافع عن أفكارها وآمالها وأحلامها، فلها نفسية **معقدة** وهي شخصية **قنوطة ويائسة**، حيث فضلت الانتحار كحل بديل عن الحياة المأساوية التي كانوا يعيشونها، خاصة معاملة الوالد لها فعاشت حياة قاسية، من قبل الأهل

والمجتمع:« خيرة ضحية كل شيء، لقد تكاثف الجميع على قتلها، الأهل المحيط، المجتمع والذين صوروا لها الحياة بالشكل الذي دفعها إلى الانتحار حرقا»[3].

فلم تكن لها شخصية مستقلة بذاتها وإنما مزيجاً من عدة أشخاص فلها **نفسية مضطربة** على لسان مريم:« كانت المسكينة مزيجاً من أبي وأمي وخالتي وجدتي ولهذا لم تتحمل طويلا... هي ثمرة لكل هذا الخليط»[4].

1- الرواية، ص173.
2- الرواية، ص250.
3 - الرواية، ص163.
4- الرواية، ص164.

2-5 سهام: هي شخصية مثقفة، صديقة "عيد عشاب" و"سيلفيا" لم يهتم الراوي بذكرها بل تحدث عنها "عيد عشاب" و"سيلفيا" فقط، شخصية طيبة ظهرت في النص الروائي بمرض السرطان أودى بحياتها، طالبة جامعية ذات أخلاق عالية، محبوبة من طرف أصدقاءها، خاصة "عيد عشاب" إنسانة مهمومة ومتعبة، فنفسيتها كانت صعبة ومحطمة، بسب معرفتها بمرضها وهو ما يسمى في علم النفس **برهاب السرطان** ويظهر ذلك على لسان "عيد عشاب" في مذكراته:« لم أجد رسائل سهام التي تعودت أن تقاسمني همومها ومتعب مرضها»[1].

إلا أنها أرادت أن تواجه المرض بإرادة قوية فهي كانت تنتظر تحديد يوم مناقشتها لمذكرتها:« ربما كانت تستعد لمفاجئتنا بمجيئها، لما لا وهي تنتظر فقط يوم تحديد المناقشة؟»[2].

2-6 أب عيد عشاب: هو شخصية جزائرية، يعمل في جمع الأعشاب الطبية ساعد ولده عيد لإتمام دراسته، إلاّ أنّه بعد مدة توقف عن إعالته، هو رجل يهتم فقط بمصالحة الخاصة ولا يأبه للآخرين.

من خلال هذا نرى أن شخصيته شخصية قاسية، غير مبالي ويفتقد لإحساس الأبوة على لسان عيد عشاب: « ووالدي رماني في برية كأي حيوان ثم ضاع في قفر الربع الخالي»[3]، وأيضاً في قوله:« إني أعيش على مساعدات الرابطة وليرات الأصدقاء بعد أن صمت الوالد نهائياً، منذ استقراره بالمدينة المنورة وتزوجه هناك صار شحيحاً»[4].

1- الرواية، ص59.
2- الرواية، ص 64
3- الرواية، ص12.
4- الرواية، ص124.

3- الشخصيات المرجعية: وهذا النوع الأكثر انتشاراً في القص الذاتي وهو" مرتبط بالشخصيات ذات الوجود الحقيقي في مسيرة التاريخ، حيث يحافظ الراوي على الملاح العامة لهذه الشخصية"[1]

ومن أبرز الشخصيات المرجعية في هذه الرواية هي:

3-1 محي الدّين بن عربي:« هو محمد ابن علي ابن محمد بن أحمد الطائي الحاتمي المرسي المعروف بمحي الدين بن عربي المكنى بأبي بكر والملقب بالشيخ الأكبر»[2].

ولد بمرسيه بالأندلس في 29 من يوليو 116 ميلادية أي في السابع عشر من رمضان سنة 560ه، وكان من عائلة اشتهرت بالعلم والمعرفة[3]، عندما ناهز العشرين من عمره، اتجه إلى الخلود والتصوف وأحوال الناس، لأن عمه "عبد الله بن محمد العربي" من أهل الطريق وكان أبوه محباً لأولياء الله تعالى، وهذه الحقبة من زمن الإمام هي مرحلة التكوين العلمي والعملي التي قضاها في الأندلس، والذي عاصر فيها خلفاء الموحدين منهم: "يوسف بن يعقوب"، "ويعقوب المنصور" و"محمد الناصر"[4].

"ابن عربي" متعدد نواحي الشخصية فهو شاعر صوفي وفيلسوف ثم هو ذو مسلكين في الحياة رصين تقي أمام الناس، مرح متساهل أمام أنداده[5]، هو الشخص الذي اكتشف "طوق الياسمين" وأسماه بباب العبور نحو النور، تعلق به "عيد عشاب" ولذلك كتب عنه في مذكراته

1- ناهضة ستار، المرجع السابق، ص185.

2- أحمد حسن بسبح، ديوان إبن عربي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2002، ص4.

3- إبراهيم غافة، الشيخ محي الدين العربي وتأثير في العالم الإسلامي والعالم المسيحي، دار هومة للطباعة النشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، ص21.

4- نواف الجراح، ديوان ابن عربي، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان، ط2، 2003، ص06.

5- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج3، دار العلم للملايين، ط1، 1979، ص542.

فشخصية محي الدّين بن عربي في الرواية كانت مصدر إلهام لكل من "عيد عشاب" ومريم التي كانت تريد أن تتخطى ثقل البدن، وترفرف في معارج الروح، فكانت شخصية "ابن عربي" منقذاً ومعدلاً لانغماس الشخصيات الأخرى في الملذات، ولذلك وضع الملتقى في أجواء صوفية تحدد المرجعية الثقافية التي تضبط المسار دون الإشارة إلى اتجاه ديني بعينه.

من خلال حديث "عيد عشاب" عن "محي الدين بن عربي" في مذكرته تظهر لنا أنه عاش حياة **حزينة وكئيبة** وأغلقت الأبواب في وجهه على لسان الراوي:« وهو الذي كان يعرف المكان جيدا ويتمنى أن يموت وهو على العوامة مثلما فعل شيخه الأكبر أو سيده الأعظم:" محي الدين بن عربي" عندما سدت الدنيا مغالقها في وجهه؟»[1].

الجدير بالذكر أن هناك شخصيات أخرى تخيلية وواقعية لم نتطرق إلى ذكرها ونذكر من بينها: جورج أخ سيلفيا وأبوها وأخت مريم الصغيرة ، الأمير عبد القادر وسيد عبد المومن بوقبرين وذلك لأنها لم يكن لها دور في تفعيل أحداث الرواية، وكذالك الراوي لم يتحدث عنها بإسهاب ولذلك لم تظهر أبعادها النفسية.

1 – الرواية، ص13.

المبحث الثالث: العلاقات النفسية بين الشخصيات وإسهامها في بناء الرواية.

تحتوي هذه الرواية على مجموعة من الشخصيات تجمع بينهم علاقات نفسية، كالحب والصداقة والغربة والحنين والشوق فمثلاً نجد :

1- علاقة مريم والراوي وعيد عشاب: كل هذه الشخصيات تعيش الغربة ونجده واضحاً على لسان الراوي:« في أرضنا كل شيء جففوه، حتى الماء رحمة ربي»[1]، و"مريم" تقول:« أنا مثلك في الألم حزينة، على أرضنا التي قتلها المناضلون والثوار»[2].

وكل هذا كان سبباً في بداية علاقة حبهم وارتباط حميم بينهم لأن كل واحد منهم وجد في الأخر الحب والعاطفة الذي يعوض به فراق الوطن:« وعندما عدنا إلى مدينة الشوق كنا حزينين كان دفء الغربة كافيا لإيقاظ الأعماق الدفينة»[3].

2-علاقة سيلفيا والراوي: نرى أيضا أن كلٌ منهما فقد أحب وأعز الناس إليهما وترك في قلبيهما فراغاً لا يعوضه أحد بعدهم:« تبعتني سيلفيا، كانت مثلي صامتة... دفعتني نحو الزاوية المظللة وخارج الضوء، ارتمت على صدري وتركت العنان لنحيبها، كانت تبكي مريم ولكنها كانت تبكي أيضا عيد عشاب»[4]، حيث يقول الراوي:« بعد عشرين سنة لم أفعل شيئا مهما سوى البحث عنك»[5].

1- الرواية، ص23.
2- الرواية، ص96.
3- الرواية، ص151.
4- الرواية، ص268.
5- الرواية، ص09.

وتقول سيلفيا:« عشرون سنة وأنا أقاوم عبثا شططة... كم أشتهي أن أنساه.... يبدوا أني سأنقله معي إلى القبر... محنة العاشق أنه لا ينسى أبدا»[1].

3-علاقة مريم والراوي وعيد عشاب وسيلفيا كما أن كل من هذه الشخصيات مرّت بقصة حب انتهت بنهاية مأساوية حيث أنهم عاشوا قصة حب حزينة وفاشلة، كما جمعت بينهم صداقة كبيرة .

إن الشخصيات التي سبق وأن ذكرناها سواء الواقعية أو التخيلية معظمها شخصيات منكسرة وعاشت حياة قهرية و قلقة لم تحقق رغبتها ولم تنجح في علاقاتها العاطفية، وهي شخصيات عاشت واقعاً مريراً قبلت به دون العمل على تغييره، فنجد الراوي مثلا قبل بزواج حبيبته من شخص آخر دون محاولة إيجاد حل للزواج منها، وكم كانت نهاية الشخصيات مأساوية بموت "عيد عشاب" و"مريم" و"سارة".

فكل هذه الأحداث والمآسي دفعت بالراوي إلى كتابة روايته بالاستعانة بمذكرات "عيد عشاب" والتي تحمل الكثير من الحزن والألم، كذلك رسائل مريم إليه التي كان الشوق والحنين أبرز ما يميزها، فهذه الشخصيات وما تحمله من أبعاد نفسية أسهمت وبشكل كبير في بناء الرواية وتفعيلها خاصة وأنّها رواية لسيرة ذاتية وواقعية.

1- الرواية، ص14.

خاتمـــــــة

خاتمـــــــــــــــة

قبل أن نضع نقطة النهاية لبحثنا نود أن نجمل أبرز النتائج التي توصلنا إليها على النحو التالي:

رأينا أن الشخصية هي الذات الفاعلة التي تعمل على تحقيق الحدث، وتعتبر العجلة التي تقود الأحداث فتعمل على تطويرها وسيرها نحو الأمام إما نحو التأزم أو الحل.

واكتشفنا أن بناء الشخصية تتكامل ولها أبعاد مختلفة أهمها البعد النفسي فتنوعت الشخصيات باختلاف جوهرها وهنا توصلنا إلى أن لكل شعور ينبت في قلب شخصية من شخصيات الرواية سبب ودافع.

وجدنا أيضاً تعتبر الرواية سيرة ذاتية، مزج فيها الكاتب بين ماهو واقعي وخيالي وقصص الحب التي احتلت نصيباً كبيراً في الرواية، حيث تعددت الشخصيات لكن البروز الأكبر اقتصر على أربع شخصيات التي شكلت الحدث الرئيسي فعملت على نقل واقعها عن مذكرات "عيد عشاب" ورسائل "مريم" .

توصلنا إلى أن التحليل النفسي يكشف عن أسرار وخبايا النفس البشرية، كما أنه ينير الجانب المظلم من حياة الشخصيات .

لاحظنا من خلال هذه الرواية أن لكل شخصية خلفيات نفسية تأثر في سير أحداث الرواية وساهمت بشكل كبير في بناءها.

اشتملت الرواية على مجموعة من المتناقضات كالحب والكره، الوفاء والخيانة، الصداقة والعداوة...وهذه المتناقضات كان لها دور في تفعيل أحداث الرواية.

لاحظنا أن الضغوط والحالات النفسية للشخصيات تختلف حسب الجنس والعمر والظروف الاجتماعية... فمثلاً الضغط النفسين نجده حاد عند الأنثى مقارنة بالجنس الآخر.

وجدنا أنه فعلاً للبعد النفسي دور في بناء الرواية

ولئن أخذ هذا البحث صبغته النهائية فإننا لا ندعي كماله وخلوه من كل عيب، وأننا أول من يعترف بما قد يكون فيه من نقائص، ولئن أصبنا فالبتوفيق من الله عز وجل وإن أخطأنا فمن أنفسنا، وعذرنا الوحيد أننا نرمي إلى الصواب، واجتهدنا لتحقيقه وعزائنا أننا فتحنا مجالاً للبحث ليكمله غيرنا .

ملحـــــــق

ملخص الرواية:

رواية "طوق الياسمين" للكاتب الجزائري "واسيني الأعرج" الصادرة عن المركز الثقافي العربي تتوفر الرواية على جزء واحد، نشرت سنة 2004، لم تطبع إلا مرة واحدة فقط. عدد صفحاتها 227 من مقياس(21,5x14,5) سم، ويبدو واضحاً من بدايتها إلى نهايتها أن "واسيني الأعرج" يحكي جزءاً من تاريخ حياته، فالحزن والأسى هما المسيطران على الأحداث، لقد لجأ "واسيني" إلى الكتابة ليتلخص من غصة تسد حُنجرته، وألم يسيطر عليه منذ عشرين سنة، والكتابة هي سبيله الوحيد إلى العزاء.

تتكون رواية "طوق الياسمين" من أربعة فصول:«سحر الحكاية» و«الطفلة والمدينة» و«بداية التحول» و«مسالك النور»، وتتحدث الرواية في مجملها عن ذكريات الراوي في جامعة دمشق وعلاقته ببعض الشباب الجزائري هناك في بدايات الستينات من القرن الماضي، فبعد عمر من الندم والوجع يعود الراوي إلى دمشق ليقف على أنقاض علاقته مع مريم التي تأبى أن تغادر قلبه وهذا ما يظهر من خلال قوله:« بعد عشرين سنة لم أفعل شيئا مهما سوى البحث عنك، أعود إلى هذه المقبرة التي صارت اليوم وسط المدينة بعد امتداد العمران بشكل جنوني، أقف على هذه الشاهدة الصغيرة التي كتب عليها، كما اشتهيت في وصيتك «ضيقة هي الدنيا ضيقة مراكبنا للبحر وحده سنقول كم كنا غرباء في أعراس المدينة »[1].

تقوم "طوق الياسمين" أساسا على ثلاثة أصوات هي صوت واسيني متخفيا بصوت الراوي صوت مريم، صوت عيد عشاب، جرت أحداث الرواية في دمشق التي نجد معالمها واضحة من خلال ناسها وحارتها وشققها وخماراتها وأوضاعها الثقافية، واستحضر "واسيني" أبطالها الغائبين

1- واسيني الأعرج، طوق الياسمين، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2004، ص9.

لكتابة روايته، فاستعان برسائل "مريم" إليه ومذكرات "عيد عشاب" "لسيلفيا"، هكذا تأتي رواية "طوق الياسمين" رسائل في الشوق والصبابة والحنين، على هيئة رسائل متبادلة بين الراوي ومريم حبيبته تتخللها من حين إلى حين أخر مذكرات "عيد عشاب" أهدى واسيني إلى كل من زوجته الشاعرة "زينب الأعوج" وصديقه "عيد عشاب" الذي قال فيه: « إلى صديقي الحاضر دوما عيد عشاب الذي انسحب بصمت من الدنيا مثلما جاءها بعد أن فتح لي باب الياسمين»[1].

تقوم "طوق الياسمين" على علاقتي حب حميمتين ومأزومتين ومدمرتين، علاقة الراوي بابنة بلده "مريم" و"عيد عشاب" و"سيلفيا" بنت دمشق اللذين فرقهما التباين الديني تظهر لنا الرواية علاقة الإعجاب الشديد بين الكاتب « الراوي » و"مريم" الفتاة التي تخطو نحو فهم العالم من خلال كتبه وجمله وكلماته ليكتشفا فيما بعد خفقان قلبهما ويعيشان متعة الحب المتأجج في الأوصال ويغرقان فيه وسط رغبة مجنونة وعارمة تجتاح "مريم" بعد فترة والتي ترى أنّه من الضروري أن تحمل بطفل فهي بلغة الثلاثين، لذا تصارح حبيبها بضرورة زواجهما، فتقول "مريم": « قلت لك مادمنا نحب بعضنا نتزوج وخلاص ونعيش الحياة كما نريد»[2].

لكن حبيبها يظل صامتا ومرتبكا يخبرها أنه ليس مؤهلا للزواج ضمن ظرفه ويرجوها التمهل في طلبها ورغبتها، وأمام هذا الرد الذي لم يرض مريم تنحدر علاقتها نحو البرودة وتفقد تألقها وفي لحظة اندفاع تخبره بأنها تركته في مقابل هذه الرغبة، وأن صديقها الذي لا يمل من ملاحقتها وينتظر أيّ إشارة منها، وأنه مستعد للزواج بها وأن الأنفة والهدوء هي عادة الرجال يلزمان الراوي ويخبر بأن لها الحرية في اختيار ما تريد.

1 – الرواية، ص05.

2– الرواية، ص58.

وعلى هذا الأساس تأخذ الرواية منعطفا آخر، حيث تقدم "مريم" على الزواج من صديقها صالح، وكأنها تحاول أن تؤكد "لواسيني" ولنفسها مدى جديتها، غير أن هذه الخطوة تؤدي إلى تدمير حياتهما معا، فهي لا تستطيع العيش من دونه، وبذلك تكون قد حكمت على نفسها بالعذاب والويل: « لم أستطع نسيانك أيها المهبول، تزوجت لأنساك فصرت مريضة بفقدانك المتكرر ولم يزدني غيابك إلا صلابة التصاقا بك»[1].

انتقال "مريم" للعيش في بيت زوجها صالح يوقظ فيها كل شوقها ولهفتها للقائه، وقد كان الراوي قد ترك مكانه واعتزل الجميع في شقة صغيرة في سوق ساروجة، عن طريق "سيلفيا" تبدأ بإرسال رسالتها إليه ومن ثمة تتجرأ وتذهب إليه مغامرة بكل شيء في سبيل وصاله، وهكذا تلتقيه في شقته كما عهدته، يعيش الراوي مع "مريم" لحظات عشقها السري ويكون ذلك نتيجة لإصرارها على أن يكون حملها منه، وليس من زوجها فيحصل ما تريد، لكن مرض قلبها وضعفه يقفان لها بالمرصاد، فتموت هي وطفلتها سارة لحظة مجيئها إلى الحياة تاركتين فراغا وحسرة وندماً في قلب "الراوي" الذي يبقى يعاني لوعتي الحب والفقدان، ولا يتجاوزهما إلا بكتابة الرواية التي استغرقت سنوات طويلة كما اخبرنا هو في نهايتها: « دمشق الجزائر- باريس طريق 1981م – شتاء 2001م»[2].

وبمقابل قصة الراوي مع مريم يروي لنا علاقة "عيد عشاب" "بسليفيا" التي قامت بين الشاب الجزائري المسلم الذي وقع في حب البنت السورية المسيحية والتي يرفض أباها تزويجها منه حين يتقدم لخطبتها، باعتبار التباين الديني بينهما وإن عرض على الوالد فكرة تخليه عن دينه واعتناق النصرانية مقابل زواجه "بسيلفيا"، وأمام إصرار الوالد على الرفض يعيش "عيد

1- الرواية، ص233.

2- الرواية، ص286.

عشاب" وجع علاقته "بسيلفيا" من خلال لقاءاته بها وبكتابة مذكراته مستعيناً بذلك بشرب العرق الذي يهرب به من واقع يخنقه ويعجز عن تغييره، وفي الوقت نفسه إعجابه الشديد بمعلمه وشيخه وسيده الأعظم "محي الدين بن عربي" الذي يأتيه في أحلامه ويقود خطاه لاكتشاف درب "طوق الياسمين" أو باب الأنوار في نهر بردي بصحبة خادم المقام:« كل من يمر عن هذا البلد ولا يفتح هذا أو هذا الطوق التي توصده الأشجار الكثيفة والنباتات الاستوائية الغربية وقصب الباندوا ولا يركب عوامة سيد "محي الدين بن عربي" كأنه يحرق ذلك جيدا ولهذا اشتهى أن يودع الدنيا وهو بين المصب والمنبع»[1] وما يزيد حالة "عيد عشاب" سوءاً توقف والده عن إرسال المال إليه، وعن مراسلته أو المرور به وهكذا يجد نفسه ضعيفاً منكسراً في مواجهة عالم ظالم وقاس فلا يجد إلا الموت مهربا يلجأ إليه خاصة بعد زواج "سيلفيا".

ويتحدث "واسيني" خلال سرده لذكرياته عن غربته وحنينه لوطنه الذي غادره قبيل العشرية السوداء: « نتشرب هم الغربة في هذه البلاد التي تعشق بحدة وترتجف تحت وقع الأحذية الخشنة كطائر قزحي الألوان مهدد بالذبح العلني »[2]

ونجده أيضا يتحدث عن الغربة في قوله: « ثم ماذا أيّها الطفل المصنوع من الحجر الخوف والوحدة ومن ليالي الغربة التي تأكل أطرفك يوميا»[3]، ويظهر ذلك أيضا من خلال قوله:« الدراسة والبعد والغربة»[4]، فنجده يسرح بذاكرته ويسافر بها إلى ربوع الوطن الغالي ومدنه وناسه الطيبين فهو لا ينسى وطنه لأنه دائما في قلبه:« تباغتني الذاكرة في خلوتي ضاربة عرض القلب بكل أسراري غرباء كنا، الوطن في القلب والأحراش والمدن الساحلية والناس

1- الرواية، ص47.

2- الرواية، ص110.

3- الرواية، ص109.

4- الرواية، ص142.

الطيبون والأسواق الصغيرة والأسئلة عبثاً تبحث عن أجوبة مستحيلة»[1]، ويبدو "واسيني" متأثراً بحال الدول العربية وأنظمتها غير الموثوق بها، وكما بدا متأثراً بالقضية الفلسطينية.

رواية "طوق الياسمين" كما لاحظنا تخوض في عوالم ومستويات عدة، فهي مبنية على لغة راقية في غاية الشاعرية، نلمس من خلالها صدق مشاعر كاتبها، وقدرته على تجسيد التجربة الإنسانية بمختلف لحظاتها، بالإضافة إلى ذلك فهي تقدم وصفا ساحراً لأجواء دمشق في الستينات في الشارع، في السوق والجامعة والبيت والدراسة، في الثقافة والسياسة، دمشق الوجع والقلق والحرقة والفراق والضياع وهي في كل صدرها هذا تحمل الكاتب غلى ذكريات من بلده الأم حيث نجد ذلك من خلال حواراته مع "مريم" يصف لنا بعضا من تفاصيل الوطن والأجواء السائدة فيقول "واسيني":

« في أرضنا كل شيء جففوه، حتى الماء رحمة ربي »[2]، وتقول "مريم": « أنا مثلك في الألم حزينة على أرضنا التي قتلها المناضلون والثوار من فرط حبهم لها خربوها وشلوها بل قتلوها»[3] كما وصف حال المدينة الليلية:« كانت شوارع المدينة التي بدأنا ننساها الآن شبه ممنوعة، تهتز فقط للمارشات العسكرية والدوريات الليلية وأصداء الرصاص، وصرخات القتلى والاغتيالات...»[4]

طوق الياسمين سيرة ذاتية وإضافة جميلة إلى رصيد الروائي "واسيني الأعرج"، حيث أهدى الراوي روايته هذه إلى صديقه "عيد عشاب" والذي صادفناه كشخصية من شخصيات الرواية.

1- الرواية، ص23.

2- الرواية، ص96.

3- الرواية، ص96.

4- الرواية، ص54.

قائمة المصادر والمراجع

قائـــمة المـــــصادر والمـــــراجع

المصادر:

1) واسيني الأعرج، طوق الياسمين، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2004 .

المراجع :

1) إبراهيم غافة، الشيخ محي الدين العربي وتأثير في العالم الإسلامي والعالم المسيحي، دار هومة للطباعة النشر والتوزيع، الجزائر، د. ط .

2) أحمد حسن بسبح، ديوان إبن عربي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2002 .

3) أحمد محمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، دار المعرفة الجامعية، مصر،ط1 1987 .

4) بشير بويحرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

5) جبر الدس بلوم، الديناميات النفسية علم القوى النفسية اللاشعورية، تر: رزق سند براهيم ليلة دار النهضة العربية، بيروت، 1990.

6) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2009 .

7) سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1967.

8) سعد رياض، الشخصية –أنواعها وأمراضها وفن التعامل معها–، مؤسسة إقرأ، القاهرة، ط1 2005.

9) شكري عبد الوهاب، النص المسرحي– دراسة تحليلية وتاريخية لفن الكتابة المسرحية–، المكتب العربي الحديث الإسكندرية،1997 .

10) طارق كمال، أساسيات في علم النفس العام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006.

11) حسين فهد، المكان في الرواية البحرينية«دراسة نقدية»، فراديس للنشر والتوزيع، بيروت . 2003

12) زين الدين المختاري، المدخل الى نظرية النقد النفسي، منشورات اتحاد الكتاب العرب . 1998

13) عبد الرحمان الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، مكتبة الأدب، القاهرة، ط3، 2005.

14) عبد القاضي المنعم زكريا القاضي، البنية السردية في الرواية، ت: أحمد إبراهيم الهواري عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2009 .

15) عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، الدار العربية للكتاب، ليبيا–تونس، ط3 .1977

16) عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت .

17) عمر بن قينة، في الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية المركزية، الجزائر .1959

18) عمر عيلان، النقد العربي الجديد، دار العربية ناشرون، ط1، 2010 .

19) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي،ج3 ،دار العلم للملايين ،ط1 ،1979 .

20) فيصل عباس، التحليل النفسي والاتجاهات الفرويدية، دار الفكر العربي، ط1، بيروت . 1997

21) فيصل عباس، الشخصية–دراسة حالات المناهج التقنيات– الإجراءات–، دار الفكر العربي بيروت.

22) محمد طمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1983 .

23) محمد عبد الغني المصري، مجد محمد الباكير البرازي، تحليل النص الأدبي بين النظرية و التطبيق، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، 2002 .

24) محمد يوسف نجم، فن القصة، دار صادر بيروت، ط1، 1996.

25) ناهضة ستار، بنية السرد القصصي- المكونات الوظائف والتقنيات-، منشورات إتحاد الكتاب العرب دمشق، 2003 .

26) نبيل صالح سفيان، المختصر في الشخصية والإرشاد النفسي، إيتراك للنشر والتوزيع مصر، ط1، 2004 .

27) نواف الجراح، ديوان ابن عربي، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان، ط2، 2003.

المعاجم :

1) ابن منظور، لسان العرب، ت: عبد الله علي الكبير وهاشم محمد الشاذلي، دار لسان العرب بيروت، المجلد الرابع(من الشين إلى العين) .

2) أبي قاسم الزمخشري، أساس البلاغة، ت:محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية،لبنان ،ج1، باب الشين .

شبكة الأنترنات:

1) حميد حماموشي، التحليل النفسي والأدب، موقع الأساتذة المبرزين والباحثين في اللغة العربية 2009 .

2) kamel-riahi, maktoob. Blog.com, 26/02/2007.

فهرس الموضوعات

فهـــرس الموضوعات

العنوان **الصفحة**

مقدمة ..... أ،ب،ج

مدخل : نبذة عن نشأة الرواية وحياة الروائي.....06

الفصل الأول: مفاهيم نفسية حول الشخصية والشخصية الروائية

المبحث الأول: الشخصية في ضوء التحليل النفسي

أ/ التعريف اللغوي:

1-1 عند الزمخشري 12

2-1 عند ابن منظور 12

ب/التعريف الاصطلاحي :

1-1 الشخصية عند فرويد 14

2-1 الشخصية عند جوردن ألبورت.....16

3-1 الشخصية عند إيزنك 17

4-1 الشخصية عند مورتن برنس 17

المبحث الثاني: الشخصية الروائية من منظور النقد النفسي

1-1 الشخصية الروائية عند فرويد 19

2-1 الشخصية الروائية عند جورج طرابيشي..... 20

3-1 أبعاد الشخصية.....22

الفصل الثاني : تجليات البعد النفسي في شخصيات الرواية

تمهيد 25

المبحث الثاني : التعريف بالشخصيات وأبعادها النفسية

1- الشخصيات الواقعية :

1-1 الراوي 27

1-2 مريم 33

1-3 عيد عشاب 38

1-4 سيلفيا 41

2- الشخصيات التخيلية :

2-1 أم مريم 43

2-2 أب مريم 44

2-3 صالح 45

2-4 خيرة 46

2-5 سهام 46

2-6 أب عيد عشاب 47

3- الشخصيات المرجعية :

3-1 محي الدين ابن عربي 47

المبحث الثالث : العلاقة النفسية بين الشخصيات ومساهمتها في بناء الرواية :

1- علاقة مريم والراوي وعيد عشاب 50

2- علاقة سلفيا والراوي..... 50

3- علاقة مريم والراوي وعيد عشاب وسلفيا.....51

خاتمة 53

ملحق.....56

قائمة المصادر والمراجع.....62

فهرس الموضوعات.....66